عِصْمَـــةُ مُحَمَّـــد

بحث خاص بإثبات عصمة النبي محمد وما يتصل بها من
أمر النبوة مع تساند مزاعم المستشرقين والرد عليها

تأليـــف

أحمد سيد بنوفري العدوى

من علماء الأزهر الشريف

راجعه وصححه

محسن أحمد سيد بنوفري

مدرس بالأزهر

الناشـــر

دار السعادة
للنشر والتوزيع

١٥ ش عثمان بن عفان – ناهيا البلد – جيزة

ت: ٠١٠٠٥٥٦٨٣٧١ – ٠١١٢٧١٧٦٥٩٧

elsaada.5373@yahoo.com

فهرسة أثناء النشر

العدوى، أحمد سيد بنوفري.

عصمة محمد: / تأليف أحمد سيد بنوفري العدوى، محسن أحمد سيد.

– الجيزة. دار السعادة، ٢٠١٤م ١٥٢ ص؛ ٢٤سم.

تدمك: ٠ ٢ ٨٥١٥٢ ٩٧٧ ٩٧٨

١– السيرة النبوية.

أ– العنوان ٢٣٩

رقم الإيداع: ٢١٩٨٩ / ٢٠١٤

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 978 – 977 – 85152 – 2 – 0

الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠١٤م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الناشـــر

دار السعادة

للنشر والتوزيع

١٥ ش عثمان بن عفان – ناهيا البلد – جيزة

ت: ٠١٠٠٥٥٦٨٣٧١ – ٠١١٢٧١٧٦٥٩٧

elsaada.5373@yahoo.com

نداء إلى أهل الكتاب

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]

تقديم الناشر

وكتاب آخر نقدمه للعالم الجليل الشيخ أحمد سيد بنوفري رحمه الله، هو في الأصل جزء ثان من كتاب «عصمة الأنبياء» يواصل فيه ذلك الرجل جهاده ورسالته التي أوقف حياته كلها، من أجلها، وهي الدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف، ومجابهة مؤامرات الكائدين له والمتحفزين، بأسلوبه القوي الواثق الذي يدرك قيمة وقوة ما يزود عنه، وأنه دين ـــــ وكما قال صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ـــــ لا يشاده أحد إلا غلبه.

وصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، هو ما جعل له المؤلف هذا الكتاب لدفع الشبهات عنه، دفع الشبهات عن رجل وُصف منذ أن كان صبيًا بالصادق الأمين، عن رجل شهد له أعداؤه قبل تابعيه.

ولا يعني هذا أن معركته مع الكائدين لدين الله ومصطفاه كانت سهلة، بل إنها تكاد تكون أكثر حمية وضراوة من تلك المعركة التي خاضها في كتابه السابق، أو الجزء الأول لهذا الكتاب، والذي خصه للدفاع عن أنبياء الله عمومًا وإثبات عصمتهم؛ إذ لا تزال المعركة هذه المرة قائمة حية، ولا يزال الأعداء غير يائسين، لا يزالون شاهرين سيوفهم، مصرين على مواصلة المعركة ومحاربة هذا الدين وآله في شخص رسولهم الكريم، ولا تنتهي حيلهم وادعاءاتهم، لا يملون ولا ييئسون؛ إذ يعدونها معركة بقاء، وهم يدركون في قرارة نفوسهم أن الدين الذي أتى به هذا الرجل، الإسلام، جاء ليبقى ولينتصر، وأنه إن تحقق له ذلك فلن يسمح لمطامعهم

وشهواتهم أن تسود، أنه سيمنح السيادة فقط لمكارم الأخلاق، وهي التي تنافي ما جبلوا عليه وما ران على قلوبهم من مفاسد وأدران.

ورغم كل ذلك خاض العالم الفارس معركته بكل بسالة ويقين، غير تارك لنقطة أو شبهة إلا فندها وأخواها من مضمونها وردها في وجوههم لتشهد على خيبتهم .. من شبهة الوحي لشبهة الأخذ عن القساوسة والأحبار للإسراء والمعراج لتعدد أزواجه ﷺ، لغير ذلك من شبهات وأكاذيب.

ورغم تلك المعركة التي خاضها بضراوتها حتى آخر يوم في عمره، إلا أن من رحمة ربه به أنه اختاره إلى جواره في هذا الأجل، قبل أن يعيش حتى هذه الأيام التي يكتشف فيها أنه مضطر للدفاع عن دينه من أهله الذين أمسوا يسيئون إليه أكثر من ألد أعدائه، سواء بفتاويهم التي ما أنزل الله بها من سلطان، لسلوكياتهم التي تنتهج العنف والقتل وسيلة، لأطماعهم التي لم يعودوا قادرين على إخفائها، ناسبين إياها إلى الدين، وهو منها ومنهم براء، متطوعين بإعطاء أعدائه مزيدًا من الأوراق التي يحاربون بها هذا الدين الحنيف.

وكما وصفنا الكتاب في تقديم الجزء الأول منه، إن قيس بمن يتحدث عنه وينافح عن عصمته لكان من أعظم الكتب وأقيمها، وإن قيس برسالته النبيلة وهدفه السامي لكان من أهم الكتب وأقواها، وإن قيس بأسلوبه الراقي الموضوعي السلس لكان من أمتع الكتب وأرقاها، وإن قيس بكاتبه العالم الفارس رحمه الله وعمره الذي قضاه في الميدان للدفاع

عن دينه غير مبال بقوة العدو أو عتاده، لكان من خير الكتب التي نحسبها كما بقيت لتعلمنا وتمتعنا جيلاً وراء جيل، ستكون له يوم القيامة بإذن الله مركبًا سهلاً يعبر به الصراط المستقيم بإذن الله؛ ليلحق بحبيبه وحبيبنا عليه الصلاة والسلام، حاملاً أوراقه هذه التي حارب بها أعداءه، سائلاً إياه: هل أحسنت؟

الناشـــر

المؤلف في سطور

الاسم:

• أحمد سيد بنوفري العدوي نسبة إلى قرية "بني عدي" بمحافظة أسيوط.

المولد:

• ٢٥ أبريل ١٩٢٧ م بالقاهرة حي الدرب الأحمر.

الدراسات:

• حفظ القرآن الكريم في سن صغير – عشر سنوات.

• التحق بالأزهر الشريف وحصل على الابتدائية الأزهرية عام ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦ م.

• حصل على الثانوية الأزهرية عام ١٣٧٠ هـ – ١٩٥١م.

• حصل على العالية من كلية الشريعة عام ١٣٧٤ – ١٩٥٥م.

• ثم حصل على الإجازة العالية (ماجستير) التخصص من كلية اللغة العربية عام ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م.

• في عام ١٩٧٤ م دبلوم في التربية من كلية التربية جامعة الأزهر.

العمل:

• عين مدرسًا وإمامًا وخطيبًا بالأوقاف.

• ثم واعظ بالقوات الجوية.

• متحدث بإذاعة القرآن الكريم له ٩٠ تسعون (حلقه) في برنامج لغة القرآن الكريم.

• مدير عام لمسجد الإمام الشافعي

الوفاة:

• توفي في ٤ أغسطس ١٩٩٠ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد الله أكمل النعمة وأتم المنة وهدى الأمة ببعثة النبي المرتضى والرسول المجتبى.

واشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ختم بنبوته النبوات وبرسالته الرسالات.

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، الرحمة المهداة إلى عالم الأرض والسماء.

وبعد، فإنني أقدم لك أيها المسلم الجزء الثاني من كتاب «عصمة الأنبياء»، متناولاً فيه كل ما يصل بأمر النبوة والوحي والعصمة، ومطاعن المستشرقين والرد عليهم.

وهذه الموضوعات التي ضمنتها هذا الجزء من الكتاب لم تكن خارجة عنه الموضوع الأصلي وهو «العصمة» لأنها متصلة بها اتصالاً وثيقًا لا انفصام بينهما، بل هي الأساس المبنية عليه؛ إذ لا إثبات للعصمة إلا بعد إثبات النبوة.

والكتاب عدا هذا حافل بالمسائل المهمة والتحقيقات التي يحتاج كل مسلم إلى معرفتها والتسلح بها لمواجهة أعدائه؛ إذ يجد فيه التحليل الوافي والجواب الشافي لكل قريه مزعومة أو شبه مكذوبة أو تساؤل يقصد من ورائه الطعن أو التشكيك مع قرع الخصم بالدليل تلو الدليل بالنقلي تارة

وبالعقلي تارة أخرى، ولم أدع له للرد مجالاً ولا لمزاعمه ومفترياته كياناً حتى صارت رمادًا تذروه الرياح.

وقد عكفت على إخراج هذا الكتاب ثلاث سنوات باحثًا ومنقبًا هنا وهناك في شتات الكتب والمراجع والأسفار، متعقبًا على وجه الخصوص تلك الشرذمة الضالة التي ناصبت الإسلام العداء وآلت على نفسها أن تطفئ نور وتشوه وجه الحقيقة، وتطمس معالم الحق، وتبعث في النفوس المؤمنة ذات الفطر السليمة موجة من الشك لتحيد عن الصراط السوي إلى طريق الغواية والضلال. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، هذا وقد وجد عونًا من الله تعالى وتوفيقًا في تأليفه وتبويبه، كما وجدت فتوحًا عظيمًا في مناقشة شبهات الضالين ودحضها بالأدلة العقلية والفعلية، حتى تم هذا السفر، واكتمل لله الحمد والشكر على عظيم هديه وحسن توفيقه، وقد قصدت بعلمي هذا وجه الله تعالى وشفاعة نبيه ونفع المسلمين، والله أسأل أن ينفع به كل من قرأة أو أعان على نشره، كما أسأله راجيًا التجاوز عن أخطائي وزلاتي فيما أكون قد أخطأت فيه أو قصرت إذا الكمال لله وحده.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

القاهرة في ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م

المؤلف

أحمد سيد أحمد بنوفري العدوى

الفصل الأول

عداء المستشرقيـن للإسـلام

كلمة موجزة
عن الاستشراق والمستشرقين

لما عرف أعداء الإسلام أن من المحال القضاء عليه بالحروب المادية لأن الحروب المادية لا تقضي على الأفكار، ولا تجتث العقيدة ولا المبادئ التي استقرت في الصدور، واقترنت بالأرواح، خاصة وأنهم رأوا المسلمين أشد الأمم تمسكًا بدينهم وأعظمها تضحية في سبيله، لذلك عمدوا من أول الأمر إلى حرب الإسلام عن طريق النضال الفكري والعلمي، فلما وجدوا أنه في هذا الجانب قوي بما فيه من حقائق ثابتة ببراهين ساطعة وأدلة دامغة لا يوهنها الكذب ولا يخلخلها التلبيس، وبما فيه من مبادئ الحياة الصحيحة التي بها صلاح الأمم ورقيها، ولا يستقيم أمر الناس إلا بها، لجئوا إلى الافتراء عليه والدس على معارفة وتعاليمه وأحكامه وتشريعاته.

وقد تبنى هذه الدعوة الفكرية المناهضة للإسلام قوم سموا بالمستشرقين "لدراستهم لعلوم الشرق"، ويرجع تاريخهم إلى الحروب الصليبية في القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي.

وكان أول حدث علمي في تاريخ الاستشراق هو مكتب الترجمة الذي أمر ريموند أسقف طليطلة بإنشائه عام ١١٣٠ م، فترجم أعمال ابن رشيد وابن سينا والفارابي والكندي، ثم قام هذا الكتاب بعمل أول ترجمة عرفت في التاريخ للقرآن الكريم، وعرض الأسقف هذه الترجمة على "دكليني"، لدراستها والرد عليها، فكان هذا أول ما عرف عن الاستشراق الغربي، ولا تزال الجامعات الغربية الكبرى تدرس العلوم الإسلامية، ففي كل من جامعات انجلترا وفرنسا وأمريكا وهولندا وكندا وإيطاليا أقسام خاصة بالدراسات

الشرقية، منظمة على نطاق واسع، وليس القصد منها إلا وضع نقاط ضعف وهمية في كل ما يمس العقيده الإسلامية ويحيط من شأنها، ويصورها بصورة مشوهة، ولقد تخرج في هذه الجامعات الكثير من المتخصصين الذين وهبوا حياتهم ونصبوا أنفسهم لشن الحرب والهجوم على الإسلام، ومن أشهرهم "جيب، ودانييل، ميليو الفرنسي، ولا مانس، ووات" وغيرهم كثير.

وهؤلاء المستشرقون ذوو براعة فائقة في تصيد الروايات المكذوبة والأحاديث الموضوعة والإسرائيليات وغيرها مما وضع بعضه اليهود الذين تظاهروا بالدخول في الإسلام لفتنة أهله والعمل على تشكيك المسلمين في عقيدتهم وتشويه التراث الإسلامي، والبعض الآخر مما أملاه مردة الشياطين، فانساقوا إليها خاضعين، ولذا تراهم غير منطقيين فيما يزعمون ولا واقعيين في آرائهم، بل إذا قارنت بينها لوجدتها متضاربة تضاربًا ما يدل على كذبهم وهرائهم، وإليك بعضًا من هذه الأمثلة:

نرى المستشرق "دوزي" يقرر أن رسول الله ﷺ كان صاحب خيال، حين أن العرب مجردون عن الخيال، وكان ذا طبيعة دينية ولم يكن العرب كذلك.

بينما ترى مستشرقًا آخر هو "القس لاماتس"، يقول إن محمدًا رغم معايبه كان يفتن البدوي الذي يرى ذاته في شخص النبي العربي كما يدعوه القرآن، وفي هذا التفاعل أو في هذه المطابقة التامة بين محمد وبيئته، فأيهما نصدق؟

أذلك الذي يصور النبي ﷺ بصورة الفذ المتفرد عن بيئته بصفة الخيال والتدين، أم هذا الذي يصورة مثلاً يرى فيه كل عربي ذاته، وتبدو فيه المطابقة التامة والتفاعل الكامل مع بيئته؟

وترى القسيس "لامانس" يقرر أن محمدًا كانت له شهية قوية جيدة، وقد كثفت جسمه الملذات، وخدرت أعضاءه فأصبح مهددًا بداء السكتة.

بينما ترى مستشرقًا آخر هو "بيتيه سنجله"، يقرر أن رؤى محمد كانت في بعض الأحيان أثرًا لضعفه الشديد من الجوع، فأيهما تصدق؟

أهذا الذي يصوره ضعيفًا مهزولاً من شدة الجوع والفاقة، أم ذلك الذي يصوره سمينًا ذا شهية قوية جيده كثفت جسمه الملذات حتى أصبح مهددًا من كثرة الشبع بداء السكتة؟

وترى القسيس لامانس هذا يتهم محمدًا بأنه كان نؤومًا، وينسي أن الله تعالى يقول له على مسمع من المؤمنين والمشركين جميعا ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقد نقلت الأخبار الصحيحة أنه ﷺ كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه لطول وقوفه في الصلاة، فهل ظن لامانس أن العرب من أصدقائه أو أعدائه كانوا يسكتون على هذا التقرير القراني الإلهي الذي جاء مؤيدًا بعبارة صريحة «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ»، وهم يعلمون أنه نؤوم؟ إنما كان الأعداء ينتهزونها فرصة لتكذيبه وإثبات ادعائه عن الله تعالى علم ما يخالف حاله؟ أو لم يخف محمد إذا كان مدعيًا ذلك حتى من أصدقائه أن يفقدوا ثقتهم به؟

ولكن أين النقد؟ وأين المنطق عند هؤلاء المستشرقين الحاقدين؟

وهذه صورة أخرى مضحكة تدل على خبل قائلها لتضاربه مع نفسه الأمارة بالسوء.

يقرر القس لامانس أن الرسول ﷺ، لم يكن شجاعًا، وان العرب عامة قوم لا يُعرفون بالشجاعة، وأن عمر بن الخطاب لم يكن إلا جنديًا مسكينًا أدنى مرتبة من الوسط، أي أنه ليس بذي شخصية قوية، ومع ذلك يناقض نفسه حين يقرر أن عمر هو وأبو بكر كانا يسيطران على الرسول ﷺ، والحقيقة أن لامانس المسكين حين يتحدث عن عمر لا يطيق الاعتراف بقوة شخصيته؛ لأنه يكره أن يكون في المسلمين شخصيات قوية مثل شخصيته عمر، وحين يريد أن ينتقص الرسول ينسى حكمة على عمر؛ فيصفه بأنه كان متسلطًا على الرسول، أي أنه كان من قوة الشخصية بحيث يتسلط على الرسول، فأي خلط هذا؟ وأي هراء؟ وسترى العجب العجيب عند تفنيد مطاعنهم وأباطيلهم والرد عليها بما يمحقها ويكشف اللثام عن وجوه جند إبليس.

هذه كلمة موجودة عن هؤلاء الحاقدين على الإسلام الناقمين عليه، رأيت أن أصدر بها هذا الكتاب ليكون القارئ على بينه من الأمر وتصور كامل لكل ما يثيرونه من شبهات وتساؤلات لا يقصد من ورائها إلا الدس والنيل من الإسلام والمسلمين.

الفصل الثاني

الوحـــي

معنى الوحي، وحي النبي من الله، رد شُبه منكري الوحي الإلهي، بطلان أخذ النبي من غيره، استعداد النبي ﷺ للنبوة والوحي ... إلخ

تعريف الوحي لغة وشرعًا

قال في الأساس*: «أوحى له» و«أوحي إليه» بمعنى، و«وحيت إليه» و«أوحيت» إذا كلمته بما تخفيه عن غيره.

وقال الراغب: أصل «أوحى» الإشارة السريعة، ولتضمّن السرعة قيل «أمر وحي»، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكتابة، وقد حمل على هذا قوله تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، أي أشار إليهم ولم يتكلم.

و«الوحي» بتشديد الياء السريع، ومن وحي الإيماء بالجوارح .. قول الشاعر:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً فَتَحَيَّرَتْ

دقَائِقُ فِكْرِي فِي بَدِيعِ صِفَاتِهَا

فَأَوْحَى إِلَيْهَا الطَّرْفُ أَنِّي أُحِبُّهَا

فَأَثَّرَ ذَلِكَ الوَحْيُ فِي وَجَنَاتِهَا

والقول الجامع في معنى «الوحي» اللغوي إنه الإعلام الخفي السريع الخاص من وجه إليه بحيث يخفى على غيره، ومنه الإلهام الغريزي

* «الأساس في التفسير» لمؤلفه سعيد بن محمد حوي (١٩٣٥: ١٩٨٩).. الناشر.

كالوحي إلى النحل ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روح الإنسان السليم الفطرة الطاهر الروح كالوحي إلى أم موسى.

ومنه ضده، وهو وسوسة الشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة، وهما الخفاء والسرعة، فهذا معنى المصدر، ويطلق على متعلقه، وهو ما وقع به الوحي، أي اسم المفعول، وهو ما أنزله تعالى في أنبيائه وعرضهم من أنباء الغيب والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتابًا أي تشريعًا يكتب ومنهم من لم يعطه والله تعالى يوحي إلى ملائكته ويأمرهم بهذه كقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢].

ويوحي إلى ملك الوحي ما يوصيه الملك إلى الرسول ﷺ كقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، أي أوحى إلى عبده جبريل عليه الصلاة والسلام ما أوحى جبريل إلى النبي ﷺ.

قال الإمام الشيخ محمد عبده[1] بعد تعريف الوحي لغة وقد عرفوه شرعًا: إنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان بجده الشخصي من نفسه مع اليقين بأنه من قبل، الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل معه أو بغير صوت، ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور.

هذا التعريف يشمل أنواع الوحي الثلاثة الواردة في قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

فالوحي هذا إلقاء المعنى في القلب، وقد يعبر عنه بالنفث في الرُّوع، وهو بالضم القلب والخلد والخاطر، والكلام من وراء حجاب هو أن يسمع كلام الله من حيث لا يراه، كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة .. وأما الثالث فهو ما يلقنه ملك الوحي المرسل من الله إلى رسول الله ﷺ، فيراه متمثلاً بصورة رجل، أو غير متمثل، ويسمعه منه أو يعيه بقلبه .. وقد ذكر العلامة السيوطي خمس صور لكيفيات الوحي:

[1]- رسالة التوحيد.

إحداها- أن يأتيه الملك مثل صلصة الجرس، وهو أشد حالات الوحي عليه.

الثانية- أن ينفث في روعه الكلام نفثًا.

الثالثة- أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه، وتلك أهونه عليه.

الرابعة- أن يأتيه الملك في النوم.

الخامسة- أن يكلمه الله إما في اليقظة أو في المنام.

وقد ذكر العلماء فيما ذكروا أنه كان للتنزيل طريقان:

أحدهما: أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية، وأخذه من جبريل.

الثاني: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى أخذه الرسول منه.

وحي الرسول إلهي لا نفسي
كما يقول الماديون والمستشرقون

قال السيد محمد رشيد رضا:

... وخلاصة رأى هؤلاء الماديين أن الوحي إلهام كان يفيض من نفس النبي الموحى إليه لا من الخارج، ذلك أن منازع نفسه العالية وسريرته الطاهرة وقوة إيمانه بالله وبوجوب عبادته وترك ما سواها من عبادة وثنية وتقاليد وراثية رديئة يكون لها في جملتها من التأثير ما يتجلى في ذهنه ويحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحية، فيتصور ما يعتقد وجوبه إرشاديًا إلهيًا نازلاً عليه من السماء من دون وساطة، أو يتمثل له رجلاً يلقنه ذلك، يعتقد أنه ملَك من عالم الغيب، وقد يسمعه يقول ذلك، وإنما يرى ويسمع ما يعتقده في اليقظة كما يرى ويسمع مثل ذلك في المنام الذي هو مظهر من مظاهر الوحي عند جميع الأنبياء، فكل ما يخبر به النبي ﷺ من كلام ألقي في روعه أو عن ملك ألقاه على سمعه فهو خبر صادق عنده.

يقول هؤلاء الماديون: نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع، وإنما نقول إن منبع ذلك من نفسه، وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي يقال إنه وراء عالم المادة والطبيعة الذي يعرفه جميع الناس، فإن هذا الغيب شيء لم يثبت عندنا وجوده، كما أنه لم يثبت عندنا ما ينافيه ويلحقه بالمحال، وإنما نفسر الظواهر غير المعتادة بما عرفنا وثبت عندنا دون ما لم يثبت.

شبهات المستشرقين للوحي النفسي

ولتعرض جميع المقدمات التي استنبطوها من تاريخ محمد ﷺ وحالته النفسية والعقلية وحالة قومه ووطنه والظروف التي أحاطت به وما تصوروا أنه استفاد من أسفاره وما كان من تأثير خلواته وتحنثه[1] وتفكره فيها، وأن هذا الوحي قد نبع من نفس محمد وأفكاره بتأثير ذلك كله في وجدانه وعقله ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

المقدمة الأولى:

شبهة الوحي النفسي

قالوا إن محمد ﷺ لقي بحيري الراهب في مدينة «بصرى» بالشام، وقالوا إنه كان نسطوريًا من أتباع أريوس في التوحيد، وينكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث، وإن محمدًا لابد أن يكون علم منه عقيدته.

وقالوا في بحيرى أيضًا إنه كان عالمًا فلكيًا منجمًا، وحاسبًا ساحرًا، وإنه كان يعتقد أن الله ظهر له وأنبأه بأنه سيكون هاديًا لآل إسماعيل إلى الدين المسيحي، بل سمعنا من بعض الرهبان أنه كان معلمًا لمحمد ﷺ ومصاحبًا له بعد رسالته، وأن محمدًا ما حرم الخمر إلا لأنه قتل أستاذه بحيري وهو سكران! وأسرفوا في هذا الافتراء والبهتان.

---

[1] – التحنّث: التعبد.

وكل ما عرفه المسلمون من رواة السيرة النبوية أن النبي صلى الله عيه وسلم لما خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام وهو ابن تسع سنين، وقيل ابن اثنتي عشرة سنة، رآه هذا الراهب مع قريش، ورأى سحابة تظله من الشمس ــ دون من معه ــ وذكر لعمه أنه يكون له شأن، وحذره عليه من اليهود، ولم يذكر في رواية من روايات التاريخ الواردة بهذا المعنى أنه ﷺ سمع من بحيرى شيئًا من عقيدته أو دينه سوى وصيته به لعمه أبي طالب، اللهم إلا أن يكون تاريخًا اختلقوه ووضعوه.

المقدمة الثانية:

دعوى الأخذ من ورقة بن نوفل

قالوا أيضًا: إن ورقة بن نوفل كان من منتصِّرة العرب العلماء بالنصرانية، وأحد أقارب خديجة رضي الله عنها ليوهموا القارئ أنه ﷺ اخذ عنه شيئًا من علم أهل الكتاب .. والذي صح من خبر ورقة هذا هو ما رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما من خبره، وكان شيخًا قد عمي، ولم يلبث بعد ذلك أن توفي، ولم ينقل أن النبي ﷺ رآه قبل ذلك.

والحديث: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بُدئ به ﷺ الوحي الرؤيا الصالحة في النوم[1]، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه[2]، وهو التعبَّد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاء الحق وهو في غار حراء، فجاء الملك فقال: «اقْرَأْ»، قال: «ما أنا بقارئ»[3]، قال: فأخذني فغطني[1] حتى بلغ مني الجهد[2] ثم أرسلني.

---

[1]- الرؤيا الصالحة، أي الصادقة، وهي نوع من انكشاف الحقائق للنفس لإدراكها من صفائها بعد اشتغالها بمدركات الحواس ورؤيا الأنبياء قبل وحي التشريع تمهيدًا وتأنيسًا للنفس يقوى استعدادها لتلقي الكلام الإلهي.

[2]- أصل «التحنُّث» اتقاء الحنث، أي الذنب، وفي رواية فجأه الحق، أي بغتة، ولم يكن ينتظره، والمراد به الوحي الصريح الذي هو من كلام الله تعالى، وهذه الرواية الثانية في الصحيحين صريحة في أن هذا كان في اليقظة .. وفي سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق أن جبريل جاء في المنام، وهي من مراسيل عبيد بن عمير، وهو ثقة وله صحبة، ولكن رواية الصحيحين المسندة المرفوعة هي المعتمدة، وجمع بعضهم بين الروايتين بأنه رآه أولاً في المنام فأستقرأه، ثم رآه في اليقظة، ولو وقع هذا في المنام لزال خوفه ورعبه صلى الله عليه وسلم بعد اليقظة، ولم يذهب إلى خديجة يرتجف فؤاده.

[3]- الظاهر أن الأمر بالقراءة أمر تكوين لا أمر تكليف، أي كن قارئًا، ولذلك قال له في الثالثة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، أي كن قارئًا باسمه ومن قِبله بإقداره اياك على القراءة لا بحولك وقوتك، فهو يعلم أنك أمي لا يتعلق كسبك واستطاعتك بالقراءة، أما وقد شاء ربك الذي خلق الإنسان من

فقال اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ ــ ٥]..

رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب منه الروع

علق، وهو الحيوان المنوي أو أول ما تتحول إليه نطفة الزوجين بعد العلوق، فجعله بشرًا سويًا يسمع ويبصر ويعقل، شاء أن يجعلك قارئًا لما يوحيه إليك لتقرأه على الناس، فأنت تكون قارئًا.

[١]- فسروا الغط بالضَّم، الشديد الضاغط، فقالوا: أي ضمَّني وعصرني، وفي رواية الطبري حديث "ففتّني"، وعليها ابن هشام تبعًا لابن إسحاق .. والغط هو الفَت، مخرجهما واحد، وأصل معناهما الغمس في الماء وضيق النفس، وفسره بعضهم بالخنق، وهو مبالغة لا تليق هنا.

وحكمة هذا الغط تقوية روحانية للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يقوى على الاتصال بالملك والفهم منه.

[٢]- الجهد: التعب.

(الخوف)، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي[1]، فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك[2] الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ[3] وتكسب المعدوم[4] وتقري الضيف[5] وتعين على نوائب الحق[6]، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى،

---

[1]- اختلف العلماء في خوفه صلى الله عليه وسلم على نفسه، فقيل خشي الجنون، وأن يكون ما رآه من الجن، وقد أنكره وردّه القاضي أبو بكر بن العربي ووافقه الحافظ ابن حجر، ولكن الحافظ قال إنه رواه من عدة طرق.

أقول: وهو الظاهر مما أجابته به خديجة رضي الله عنها. واستُشكل بأن الوحي يكون مقترنًا بعلم قطعي بأنه من الله، وأن الملقن له من الملائكة .. وأجيب بأن هذا العلم الضروري يحصل باستعراف الملك له وإعلامه إياه بذلك عند تلقينه الأمر بالتبليغ، وإنما كان ظهور الملك له في هذه الصورة لأجل الإيناس والإعداد لتلقي وحي الأحكام والأمر فيه بالقراءة للتكون لا التكليف، وإلا لكان من تكليف ما لا يطاق.

وقيل إنه خاف على نفسه الموت والهلاك، وهو قريب، وثَم أقوال أخرى متكلفة، وهو على كل حال يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يفهم من هذه الرؤية أنه صار نبيًا ولا أن ما رآه هو ملك الوحي جبريل عليه السلام، ويؤيد ذلك مسألة ورقة.

[2]- الخزي: اسم معناه الذل، وأخزاه أذلّه وأهانه.

[3]- الكَل: المتعَب، ومن هو عالة على غيره، وحمله إعطاؤه راحلة يركبها أو حمل أثقاله.

[4]- وتكسب: بالفتح والضم لغة ورواية، والمعدوم المفقود، قيل ولا يظهر معناه هنا إلا بتكلف، وقال الخطابي: الصواب المعدم، وهو الفقير الفاقد لما يكفيه.

[5]- يقري الضيف: يكرمه ويحميه.

[6]- «الإعانة على نوائب الحق» كلمة جامعة لكل أعمال البر والنجده والمروءة فيما عدا الباطل، وما رغَّب خديجة في التزوج به إلا هذه الفضائل التي أحاطت به خبرًا بمعاشرته الزوجية، ولذلك عد بعض علماء الغرب إيمانها به أصح شهادة له.

ابن عم خديجة رضي الله عنها، وكان امرءًا تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني[1]، فيكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: هذا الناموس[2] الذي أنزله الله على موسى، ليتني فيها جزعًا[3]، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب[4] ورقة أن توفي، وفتر الوحي[5].

---

[1]- وفي رواية أخرى للبخاري في كتاب التفسير من صحيح: يكتب من الإنجيل بالعربية، وفي معناها رواية مسلم، فكان يكتب الكتاب العربي، ولا تنافي بين الروايات؛ إذ كان يعرف اللغتين، وورقة ابن عم خديجة .. وأما قولها له: "اسمع من ابن أخيك" فهو من باب التوقير لسنه واستعطاف الرحم، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم "يا ابن أخي"، وما زال يستعمل في خطاب أولاد الأقرباء والأصدقاء.

[2]- الناموس في اللغة: صاحب السر، والمراد به أمين الوحي جبريل عليه السلام، وقوله "نزل على موسى" ولم يقل "وعيسى"؛ لأن الشبه بين الوحي إلى موسى ومحمد أتم؛ لأن كلا مهما أوتي شريعة تامة مستقلة في عباداتها ومعاملاتها، وعيسى عليه السلام كان تابعًا لشريعة التوراة وناسخًا لبعض أحكامها التي تقتضيها ظروف عصره وقومه.

[3]- جزعًا: أي قويًا جلدًا.

[4]- لم ينشب: لم يلبث.

[5]- فتر: انقطع.

قال ابن شهاب: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي: فقال في حديثه «بينما أنا ماشٍ إذ سمعت صوتًا من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاء لي بحراء جالس علي كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت فقلت "زملوني"؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١ ــ ٢]، إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]، فحمي الوحي وتتابع. ا.هـ.

حول نظرية الإيحاء

عرض دانييل في مؤلفه «الإسلام والغرب» آراء المستشرقين الرهبان في الإيحاء إلى محمد برسالة الإسلام فقال: ينكر هؤلاء أمثال ريكولد ومارك التوليدي نزول أي وحي على محمد، ويذهبون إلى أنها مجرد نوبات صرع كانت تنتابه من حين إلى حين.

ويقول سان بدور إن حديث عائشة عن تصبب العرق عن النبي وإصابته برعشة عندما كان يزوره الوحي يثبت صحة ما كان يتهمه به أبناء قريش من أنه كان منجمًا أو عرافًا، ثم يعرض دانييل لما يقوله روجر بيكون من أنه في جميع الأديان، حتى الوثنية منها، يؤمن الناس بأن الله قد أوحى بهذا الدين، وعلى هذا يعتقد المسلمون بأن محمدًا قد أوحي إليه، ويصل الحد بهذا المستشرق إلى القول بأن ما كان من نبوة محمد ليس وعيًا، وإنما كان "امتلاكًا شيطانيًا"!

ولا يخفى ما وراء هذا الادعاء الكاذب وهذه الفرية المختلقة المفضوحة من الطعن في نبوته ورسالته، وأنه لم يأتِ بدين جديد مصدره السماء عن طريق الوحي الإلهي، وإنما بنى دعوته التي يدعو بها على تعاليم وآراء اقتبسها محمد ممن خالطهم من أحبار اليهود ورهبان النصارى، كما يقول جولد تسهر: إن تبشير محمد ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرًا عميقًا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقة عند بني وطنه، أو أنه أسسها على أفكار

صورتها إليه نوبات الصرع التي كانت تنتابه وهستريا المرض التي كانت تلازمه، إلى غير ذلك من الإسفاف في الهجوم على النبي ﷺ، ولكن الحقائق المشاهدة والواقع الملموس يكذب كل ما يقولون ويزعمون.

ونقول لهم: إن ما ترمون به الرسول ﷺ الآن قد رماه به من قبل أسلافكم ممن ناهضوا دعوته ووقفوا حجر عثرة في طريقها وقالوا ساحر أو مجنون وقالوا اكتتبها أساطير الأولين، إلى غير ذلك مما تنسبونه إليه اليوم، فأنتم لم تأتوا بشيء جديد سوى إيقاظ العداء القديم وإثارة نفوس المسلمين ومحاولة تشكيكهم في دينهم وتمجيد القيم المسيحية والعمل على نشرها والتبشير لها، وذلك بعد أن تهيئوا لها الجو المناسب والأرض الخصبة التي يمكن أن تنبت فيها وتنمو وتترعرع، ولا يتيسر لهم ذلك بطبيعة الحال إلا بعد تزييف الديانات السماوية الأخرى والقدح فيها، ولكن هيهات هيهات لما ترسمون وتخططون، وقولكم إن الرسول ﷺ أصابته رعشة حال نزول الوحي عليه، كما كان يتصبب عرقًا، وهذا يؤيد قول قريش بأنه كان منجمًا أو عرافًا، لهذا أمر يحتاج إلى مناقشة يسيرة ليظهر فساد ما تقولون.

أولاً- إن إصابة الرسول بالرعشة أو الخوف حال نزول الوحي فهذا أمر طبيعي لكل إنسان؛ إذ الرسول بشر كسائر البشر، فيجري عليه في مثل هذه الحالة كما يجري على غيره من الخوف، خاصة لأمر لم تألفه نفسه، والملَك حال نزوله تكون له شدة ورنين كما قالت السيدة عائشة

رضي الله عنها في وصفها لنزول الوحي على الرسول ﷺ بذلك: «... وأحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على»، أي له صوت قوي ودوي شديد، وفي هذه الحال كان إتيانه للنبي ﷺ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً، وهو أهون عليه؛ إذ صورة الملكية لها رهبتها لأنها غير مألوفة بخلاف إتيانه في الصورة الإنسانية لممثالتها له، وأيضًا فإن مفاجأة الرجل بشيء لم يحسب له حسابًا ولم ير مثله من قبل يحدث له مثل ما حدث للنبي مهما كانت قوته، ولم يكن نتيجة مرض عصبي، ومع هذا لم يفقد الرسول ﷺ وعيه ولا غاب عنه عقله، بل وعى كل ما قاله له الوحي بعد أن ثبت له فؤاده واطمأن خاطره، ولذا نراه قص على زوجة خديجة وعلى ورقة بن نوفل ابن عمها كل ما حدث له من أمر الوحي، حتى قال له ورقة: "هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى"، أي الوحي.

والمريض بمرض عصبي أو من به صرع أو جنون يكون مضطربًا في تفكيره سقيمًا في وجدانه متناقضة أفعاله وأقواله، فهل يقبل العقل والمنطق أن مثل هذا يكون له قدره على نشر رسالة وتحمل أعباء دعوة، ويخرج الناس من ظلمات الشرك والضلال إلى نور المعرفة والتوحيد، ويقيم ميزان العدل ويضع الدستور الذي به تنتظم حياة البشر وتسعد به نفوسهم الدارين، عدا إقامة دولة إسلامية اتسعت رقعتها حتى شملت شتى أنجاء المعمورة تدين بدينه وتهتدي بهديه وتقتفي آثاره في كل شيء فعله أو قاله أمر به أو نهى عنه.

قال المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدي في رده على مفتريات المستشرقين: «إذا كان محمد وهو هستيري مريض في رأيهم يوفق إلى مثل هذه الجسام حتى يغير سطح المعمورة من حال إلى حال مما لم تأتِ بمثله أقيال الفاتحين ولا كبار الملوك والسلاطين، بل ولا أولو العزم من الرسل، فماذا كان صانعًا لو كان رسولاً حقًا يرى الملك ويسمع منه الوحي؟

ولو كان هذا حال رجل خيالي مريض شاذ الأخلاق وعرضة لجميع الأمراض، التي ذكرناها أي من الصنف الذي إذا رأيته رحمته واستعذت بالله من حاله فماذا بقي للصادقين الكاملين وللأصحاء العاملين من الذين إذا رايتهم افتخرت أن تكون واحدا من أتباعهم.

هل عبد أحد في تاريخ الإنسانية أن المرضى المتهوسين يصلحون لقيادة أنفسهم فضلاً عن التصدي لقيادة الأمم وإيصالها إلى أوج ما لم تصل إليه أمة قبلها ولا بعدها. ا.هـ.

وأقول وقد مدح الله أمته لعظمها وخيريتها على الأمم في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

عصمة النبى قبل النبوة

قال ابن هشام: قد حفظ الله النبي محمدًا مما كان عليه العرب في الجاهلية من أقذارهم ومعايبهم بحسب ما آل إليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقًا وأعظمهم تنزهًا عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال وأفضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارًا وأكثرهم حلمًا وأحفظهم أمانة وأصدقهم حديثًا لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدة والفعال والسديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجودة والشجاعة والحياء وغير ذلك من القيم الإنسانية الرفيعة التي زادته جمالاً وبهاء.

أخرج ابن سعد وغيره عن ابن عباس قال: حدثني أم أيمن قالت: كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيدًا عند بوانة[1]، وهو صنم كانت تعبده قريش وتعظمه وتذبح له وتحلف عنده وتعكف عليه يومًا إلى الليل في كل سنة، فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك.

قالت: حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته قد غضبن عليه أشد الغضب، وجعلن يقلن إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا، وما نريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدًا ولا تكثر لهم جمعًا، فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعًا مرعوبًا، فقلن: ما دهاك؟ فقال: إني

[1]- بوانة: صنم كانت تعبده قريش وتعظمه وتتنسّك عنده.

أخشى أن يكون ربي لمم[1]، فقلن ما كان عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذي رأيته؟

قال: إني كلما دنوت من صنم، أي من تلك الأصنام التي عند بوانة، تمثل لي رجلاً أبيض طويلاً يصيح بي: وراؤك يا محمد لا ثمة.

قالت: فما عدا إلى عيدهم حتى تنبئ[2] به ﷺ.

وأخرج ابن راهويه وغيره عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بالنبوة إلا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل عند فعلهما، قلتلفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها.

وفي رواية: «قلت لبعض فتيان مكة، ونحن في رعاية غنم أهلنا: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما كان يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير، فقلت: من هذا؟ قالوا: فلان تزوج بفلانة، فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناي، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فأخبرته ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل، فدخلت، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فجلست أنظر، فضرب الله على

---

[1]- لمم: أي مس من الشيطان.

[2]- تنبئ: أي أوحي إليه بالرسالة فصار نبيًا مرسلاً.

أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فأخبرته الخبر، فوالله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته».

قال الإمام السيوطي: قال ابن حجر: إسناده حسن متصل ورجاله ثقات.

وأخرج أبو نعيم عن السيدة عائشة رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذُبح لغير الله، فكان يقول لقريش: خلقها الله، فأنزل لها الماء من السماء، وأنبت لها من الأرض الكلأ، ثم تذبحونها على غير اسم الله تعالى؟ قال: فما ذقت شيئًا ذبح على النصب[1] حتى أكرمني الله بالرسالة، فكان ما سمعه النبي ﷺ من زيد سببًا لتركه ما ذبح على الأصنام، أي مؤيد لما عنده، فلا ينافي السبب الأصلي، وهو حفظ الله تعالى له لنبيه ﷺ مما كان عليه العرب في الجاهلية.

وأما ما ذكره الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي في كتابه «محمد رسول الحرية» بقوله: «وعلى مائدة الطعام رفض زيد بن عمرو بن نفيل أن يأكل ما ذُبح تحت قدمي تمثال أحد الإلهة، وجاورمحمدًا، وكان محمد إذ ذاك شابًا في العشرين من عمره يضيق هو الآخر بمظالم قريش وبآلهتها

[1]- النصب: أحجار كانت تنصب فتعبد.

المتعجرفة الصماء وبالتقاليد التي تدعم قبضة التجار الكبار على أعناق العبيد».

فلست أدري من أين أتى الأستاذ الشرقاوي بهذه الفرية الجديدة التي لم نسمع عنها من قبل! اللهم إلا أن يكون ذلك من كلام المستشرقين أو من كلام تلاميذهم الذين تأثروا بثقافاتهم وأفكارهم ونهلوا من منهلهم، فلا عجب إذن أن يكون على شاكلتهم، فيكيد لخاتم المرسلين مما هو منه براء، وكان الأجدر بالأستاذ الشرقاوي أن يكون منافحًا عن نبي يدين بدينه ويؤمن بعقيدته ويهتدي بهديه، بدلاً من أن ينسب إليه ما يجعله سلاحًا في أيدي أعداء الإسلام يشهرونه في وجوه المسلمين، خاصة وأن الأستاذ الكاتب قال: «فقدمت هذا الكتاب الذي اخترت له الشكل القصصي لا شكل البحث، إنها لمحاولة اقدمها أولاً إلى غير المؤمنين بمحمد».

وإذا كان السيد المؤلف أراد بمحاولته هذه أن يقدم لونًا جديدًا من التأليف، كان من الواجب عليه أن يكون حذرًا فيما يكتب بعيدًا عن كل ما يسيء إلى الإسلام ويعرض بنبيه عليه الصلاة والسلام.

ومثل هذا كمثل الدبة التي أرادت أن تدفع الذباب عن وجه صاحبها، وهو نائم، فأخذت حجرًا وألقته على وجهه فمات.

وعلى فرض وقوع مثل هذا من النبي ﷺ فيكون قد وقع قبل النبوة، ولا يقدح هذا في عصمته، على أنه من الثابت المؤكد أن النبي ﷺ لم يفعل شيئًا من عادات الجاهلية، حتى إن ذبائحهم التي كانوا يذبحونها تقربًا لآلهتهم لم يأكل منها قط، بل عافت نفسه الطاهرة الزكية كل قبيح وعزفت عن كل رجس.

صفات الرسول في الكتب السماوية

التوراة والزبور والإنجيل والقرآن

إن أحسن ما يرد به على الطاغين في نبوة محمد ﷺ القادحين في عصمته، ويجاب به على تساؤلاتهم المبنية على الأفكار والمعارضة أن تذكر طرفًا من بشائر الكتب السماوية التي يؤمنون بها ويقدسونها برسالة سيدنا محمد ﷺ لتكون الحكم الفصل في النزاع القائم بيننا وبينهم لعلهم يذعنوا لقول الحق.

هذا والقرآن الكريم قد أرشدنا إلى أن النبي ﷺ مكتوب في التوراة والإنجيل، ومذكور بصفاته البينة الواضحة لنرجع إليها ونستشهد بما فيها لتكون حجة على المكذبين الضالين.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فقد روى البخاري والبيهقي، واللفظ له، من حديث فليح بن سليمان، عن هلال بن على، عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: أجل والله، إنه لموصوف في التوارة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك

المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا "لا إله إلا الله"[1]، وافتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا. قال عطاء بن يسار: ثم لقيت كعبا الحبر، فسألته فما اختلفا في حرف، إلا أن كعبًا قال: أعينًا.

وذكر وهب بن منبه في قصة داود عليه السلام وما أوحي إليه في الزبور:

يا داود، إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد، صادقًا سيدًا، لا أغضب عليه أبدًا، ولا يغضبني أبدًا، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أمته رحومه، أعطيهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليه الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا إلى كل صلاة، كما افترضت على الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم.

يا دواد، إني فضلت محمدًا وأمته على الأمم كلها، أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم من الأمم: لا آخذهم بالخطأ والنسيان، وذنب ركبوه على غير عمد، إن استغفروني منه غفرته لهم، وما قدموا لآخرتهم

[1]- الأمة الموحدة هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

من شيء طيبة به أنفسهم جعلته لهم أضعافًا مضاعفة، ولهم في المدخر عندي أضعاف مضاعفة وأفضل من ذلك، وأعطيتهم على المصائب في البلايا إذا صبروا وقالوا: "إنا لله وإنا إليه راجعون" الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم، فإن دعوني أستجيب لهم، فإما أن يروه عاجلاً، وإما أن أصرف عنهم سوءًا وإما أن أدخره لهم في الآخرة.

يا داود، من لقيني من أمة محمد يشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له صادقًا بها فهو معي في جنتي وكرامتي، ومن لقيني وقد كذب محمدًا أو كذب بما جاء به واستهزأ بي صببت عليه في قبره العذاب صبًّا، وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره من قبره، ثم أدخله في الدرك الأسفل من النار.

فنحن نرى في هذه القصة التصريح باسمه ﷺ، مع بيان ما افترضه عليه وعلى أمته وما اختصه واختصها به من العطايا والمكرمات.

وفي الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء هكذا:

«وقال جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير واستعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة من نار».

فمجيئه من سينا إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام، واستعلاؤه من جبل فاران إنزاله القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ؛ لأن «فاران» جبل من جبال مكة، ولم يظهر نبي بمكة غير النبي محمد ﷺ، والدليل على فاران جبل

من جبال مكة قوله في الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في حال إسماعيل عليه السلام هكذا: «وسكن في برية فاران».

ولا شك أن إسماعيل عليه السلام كان سكناه بمكة.

ومن بشائر سيدنا داود في الزبور قال: إن الله أظهر من صيفون إكليلاً محمودًا»، وصيفون العرب، والإكليل النبوة، ومحمود هو محمد ﷺ.

ومن بشائر ما ترجمه العلماء من كلام شمعون عليه السلام* بألفاظهم التي رضوها: «جاء الله بالبيان من جبال فاران، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته».

فجبال فاران هي جبال مكة لا ينكر ذلك أحد، ومجيء الله تعالى هو مجيء كتابه إلى رسوله الذي امتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته.

* شمعون: أحد أنبياء بني إسرائيل، من سلالة هارون عليه السلام.

شخصية محمد
كما يصورها فلاسفة الغرب

إن شخصية الرسول ﷺ شخصية فذة لا نظير لها في تكوينها وما طبعت عليه من المثل العليا والقيم الأخلاقية التي قلما توجد في إنسان كائنًا من كان مهما كانت رقة حسه وشفافية نفسه ودرجة علمه؛ إذ المولى قد اصطفاه واجتباه وأحسن خلقه كما أحسن خلقه .. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وذلك لتكون نفسه الكبيرة وهمته العالية قادرة على تحمل أعباء الرسالة ومواجهة تحديات أعدائه ومناهضة دعوته.

وهذه بعض جوانب العظمة والعزة والكرامة والخلق المتين التي امتاز بها الرسول الأمين ﷺ وفضل عن سائر الخلق أجمعين كما شهد بها من ليسوا على دينه لتكون دليلاً ساطعًا وبرهانًا قاطعًا على كذب أولئك الذين ينقمون على الإسلام ويشنون عليه حربًا فكرية للكيد له والحط من شأنه وزعزعة عقيدة أتباعه دون سند صحيح يذكر أو حجة قوية يعتمدون عليها في ترويج أباطيلهم ومفترياتهم.

وأقوال بعض المنصفين من علمائهم خير شاهد على براءة الرسول وطهارته نفسه، والفضل ما شهدت به الأعداء.

قال الأستاذ كارادي فو: إن محمدًا أتم طفولته في الهدوء، ولما بلغ سن الشباب اشتهر باسم الشاب الذكي الوديع المحمود، وقد عاش هادئًا في سلام حتى بلغ الأربعين من عمره، وكان بشوشًا تقيًا لطيف المعاشرة.

وقال أيضًا: إن محمدًا كان هو النبي والملهم المؤسس، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العليا، ومع ذلك فلم ينظر إلى نفسه كرجل من عنصر آخر أو من طبقة أخرى غير طبقات بقية المسلمين، إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه بين أعضاء الجمعية الإسلامية كان يطبق تطبيقًا عمليًا حتى على النبي نفسه[1].

وقال الشاعر لامارتين: إن محمدًا اقل من إله وأعظم من إنسان عادي، أي أنه نبي.

وقال الأستاذ كازانوفا: إن كل تاريخ النبي العربي يدل على أن خلقه عملي جدّى محمود، إنه حين اعترف الجميع بسلطانه المطلق عرف كيف يستمع آراء الغير ويعترف بهفواته ويصلحها .. إن محمدًا وأصحابه قد أوضحوا بعناية تامة الفرق بين آرائه الخاصة وإدراكاته للحياة الواقعية من جهة وبين تعاليم السماء من جهة أخرى، وقد ظلت هذه الفروق خالدة في الإسلام الذي لا يخلط بين القرآن والسنة، بل إنه في السنة نفسها يفرق بين ما له صفة الموحى به وما هو شخصي لمحمد[2].

---

[1]- ص ٦٣ من كتاب «المحمدية» للأستاذ كارادي فو.

[2]- من كتاب «محمد ونهاية العالم» للأستاذ كازانوفا.

وقال الأستاذ ديزيريه بلانشيه: إن النبي محمدًا يعد من أبرز وأشهر رجال التاريخ، فقد قام بثلاثة أعمال عظيمة دفعة واحدة هي أنه: أحيا شعبًا، وأنشأ إمبراطورية، وأسس دينًا[1].

وقال الأستاذ على أسير الدين[2]: صريح ذلك الراعي، قوي العزم، نقي القلب، طاهر النفس، دعاه قومه بالأمين، أحبه جده وأوصى بذلك الصبي الجميل خيرًا، فهو خير ثمرة لخير شجرة نبتت بين ربوع قريش، وقريش هذه من أعظم قبائل العرب في ذلك الحين.

وهذا الذي ذكرته قليل من كثير مما اعترفت به بحوث بعض المستشرقين المتصفين عن الرسول ﷺ وعن الإسلام، وكفى بها شهادة، كما أنها شهادة لهم أنفسهم بالنزاهة والبراءة من التعصب كفيلة بإسكات المتحاملين المتعصبين.

وهاك بعض آراء المستشرقين في الخلق المحمدي نذكرها، لا لأننا في حاجة إلى كاتب أوروبي يدلل على سمو الأخلاق النبوية إلى أقصى ما تسمح به الطاقة البشرية، ولكن لنبين أن الباحث المحايد الدقيق إذا بذل أدنى عناية في البحث انكشف له من الحقائق ما يبهر اللب بسطوعه ولمعانه.

---

[1]- كتاب «دراسات في التاريخ الديني».

[2]- شاب أسترالي اعتنق الإسلام وألّف في السيرة النبوية والإسلام.

يقول الأستاذ ديرمانجيم: إن محمدًا قد أبدى في أغلب حياته اعتدالاً لافتًا للنظر، فقد برهن في انتصاره النهائي على عظمة نفسية قلَّ أن يوجد لها مثال في التاريخ، إذ أمر جنوده أن يعفوا عن الضعفاء والمسنين والأطفال والنساء، وحظر عليهم أن يهدموا البيوت، أو أن يسلبوا الثمار، أو أن يقطعوا الأشجار الثمرية، وأمرهم ألا يجردوا السيوف إلا في حالة الضرورة القاهرة، بل قد رأيناه يؤنب بعض قواده، ويصلح أخطاءهم إصلاحًا ماديًا ويقول لهم: إن نفسًا واحدة خير من أكثر الفتوح ثراء.

إن الغنائم العربية كانت في ذلك العهد النتيجة العادية لكل جهاد، بل يمكن أن يقال إنها كانت مع التجارة وتربية الحيوان هي الصناعة الوطنية العربية، فأعلن محمد إباحتها لأتباعه استجابة لضعفهم، ولكنه حددها بقواعد دقيقة، فخصص الجزء الأكبر منها للصدقات ولحاجات الجيش، إنه قد حظر في قسمة الأسرى إبعاد الأطفال عن أمهاتهم، إنه لم يكن ليستطيع أن يغير أخلاق شعبه تغييرًا تامًا، ولكنه نجح في أن يقوِّمها في نقاط كثيرة..

إنه شخصيًا لم يكن إلا رجلاً أميًا خلوًا من الثقافة تقريبًا كجميع بني جلدته في عصره، ولكنه كان يعلم أن الإله رحيم رحمة لا حد لها، فأجهد نفسه في أن يعلو على الطبيعة البشرية، وأن تطهر في نفسه الميول الانتقامية، وهو في هذا يقول «كاد الحليم أن يكون نبيًا»، بل يمكن أن تكون الأمة التي كان يعانيها ناشئة عن أنه لم يلحق الكمال الذي كان يبغيه..

إن إخلاصه لا يمكن أن يكون في العصر الحاضر موضع شك، فإن حياته كلها تشهد أنه كان يؤمن برسالته إيمانًا عميقًا، وأنه تقبلها لا بغير بطولة كعبء يجب عليه أن يحتمل أثقل أوزانه.. إن قوة عبقريته الإنشائية واتساعها، وذكاءه العظيم، ونظره الصائب إلى الحقائق، وسيادته لنفسه، وقوة إرادته، وحكمته واستعداده للعمل وحياته الواقعية؛ كل ذلك جعل الزيف في مبدأ رسالته مستحيل القبول، فكيف يتصور أن ينقلب كاذبًا فجأة، ذلك الذي كان نجاحه يظهر له كبرهان ساطع على تأييد الإله لدعواه، وكيف يمكن أن يجرؤ على تشويه رسالته في الوقت الذي كان يرى فيه أنها مقدسة مؤيدة من الإله[1].

[1] – «حياة محمد» لمؤلفه ديرمانجيم.

مناظرة ابن القيم

وقعت بينه وبين أحد القساوسة في إثبات نبوة محمد ﷺ

مناظرة ابن القيم مع أحد القساوسة

قال الإمام ابن القيم[1]: دار بيني وبين أحد علماء أهل الكتاب مناظرة في أمر النبي ﷺ، فقلت له أثناء الكلام: لا يتم لكم القدح في نبوة نبينا ﷺ إلا بالطعن في الرب تبارك وتعالى، والقدح فيه سبحانه وتعالى ونسبته إلى الظلم والسفه والفساد.

فقال: كيف يلزمنا ذلك؟

قلت: بل أبلغ من ذلك، لا يتم لكم إلا بجحوده وإنكار وجوده تعالى..

وبيان ذلك أنه إن كان سيدنا محمد ﷺ عندكم ليس نبيًا صادقًا، وهو بزعمكم ذلك ظالم؛ فقد تهيأ له أن يفتري على الله ويتقول عليه ما لم يقله، ثم يتمم له ذلك، ويستمر حتى يحرم ويحلل ويفرض الفرائض ويشرع الشرائع وينسخ الملل ويضرب رقاب أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسمي نساءهم وأولادهم ويغنم أولادهم وذراريهم، ويتم له ذلك حتى فتح الأرض ونسب ذلك كله إلى الله، وأنه تعالى أمره به، والرب تعالى يشاهده وما يفعل بأهل الحق وأتباع الرسل وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثًا وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره ويعلي أمره ويمكن

---

[1] – «زاد المعاد» لابن القيم.

له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته ويهلك أعداءه من غير فعل منه نفسه، بل تارة بدعائه وتارة يستأصلهم سبحانه من غير دعاء منه ﷺ، ومع ذلك يقضي له كل حاجة سأله إياها، ويعده كل وعد جميل ثم ينجز له وعده على أتم الوجوه وأهنأها وأكملها!

هذا وهو عندكم في غاية الكذب والافتراء أنبيائه ورسله وسعي في رفعها من الأرض وتبديلها بما يريد هو وقتل أوليائه وحزبه وأتباع رسله، واستمرت نصرته عليهم دائمًا، والله يفتح في ذلك كله يعزه ولا يأخذه منه باليمين ولا يقطع منه الوتين!

وهو يخبر عن ربه تعالى أنه أوحى إليه أنه لا أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو قال أوحي إلى ولم يوحَ إليه شيء، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فيلزمكم معاشر من كذبه أحد أمرين لابد لكم منها: إما أن تقولوا لا صانع للعالم ولا مدبر، ولو كان للعالم صانع مدبر قدير حكيم لأخذ على يديه وقابله أعظم مقابلة وجعله نكالاً للصالحين؛ إذ لا يليق بالملوك غير هذا، فكيف بملك الأرض والسموات وأحكم الحاكمين؟!

الثاني نسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به من الجور والسفه والظلم وإضلال الخلق دائمًا أبد الآبدين، ونصرة الكاذب والتمكين له في الأرض وإجابته دعواته وقيام أمره من بعده، وإعلاء كلماته دائمًا، وإظهار دعوته

والشهادة له بالنبوة قرنًا بعد قرن على رءوس الأشهاد في كل مجمع وناد، فأين هذا من فعل أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين؟!

فلقد قدحتم في رب العالمين أعظم قدح، وطعنتهم فيه أشد طعن وانكرتموه بالكلية، ونحن لا ننكر أن كثيرًا من الكذابين قام في الوجود وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم له أمر ولم تطل مدته، بل يسلط الله عليه رسله وأتباعه فيمحقون أثره ويقطعون دابره ويستأصلون شأفته، هذه سنته تعالى في عباده منذ قامت الدنيا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال: فلما سمع مني هذا الكلام قال معاذ الله أن نقول إنه ظالم أو كاذب، بل كل منصف من أهل الكتاب يقر بأن من سلك طريقه واقتفى أثره فهو من أهل النجاة والسعادة فى الأخرى.

قال: قلت له: فكيف يكون سالك طريق الكذابين بزعمكم ومقتفي أثره من أهل النجاة والسعادة؟ فلم يجد بدًا من الاعتراف برسالته ولكن لم يرسل إليه، قلت: فقد لزمك تصديقه ولابد وهو قد تواتر عنه الأخبار بأنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين، كتابيهم وأميهم، ودعا أهل الكتاب إلى دينه، وقاتل من لم يدخل في دينه منهم حتى أقر بالصغار والجزية.

قال: فبهت الكافر* ونهض من فوره ا.هـ.

---

* وصف الكتابي بالكافر دخيل على الدين الإسلامي السمح الذي يفرق بينهما كثيرًا في الأحكام والمعاملات وغيرها، وربما يكون هذا الخلط قد بدأ مع ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ثم أتباعهما،

آيات متشابهات واردة في حق النبي ﷺ

ماذا نقول لقوم ركبوا رءوسهم فدأبوا على الجدال بالباطل وأنكروا الحقائق، فمثلهم في هذا كمثل من ينكر ضوء الشمس عند الظهيرة، وكمثل من يقول مكابرًا الأرض فوقنا والسماء تحتنا .. إنه التعصب الأعمى والتعادي في الزور والبهتان والحقد الذي يملأ قلوبهم، وكراهيتهم للإسلام والمسلمين.

وما أكثر ما رموا به النبي ﷺ من طعن وتجريح، ولكنهم في كل مرة يبوءون بالخسران المبين، وترد طعناتهم إلى نحورهم، ولما أعيتهم الحيل التي أرادوا بها تضليل المسلمين وزعزعة عقيدتهم لجئوا إلى القرآن الكريم لعلهم يجدون فيه ما يلبسون به على أمة محمد؛ فعمدوا إلى بعض الآيات التي يوحي ظاهرها أن بها مساسًا بالرسول ﷺ، فتمسكوا بها، وحسبوها صيدًا سمينًا أو سلاحًا رهيبًا يمكن أن يوهنوا به إيمان المسلمين!

ويعود في الأغلب لإساءة تأويل بعض آيات القرآن الكريم التي تصف القائلين بالتثليث (الله ثالث ثلاثة) وإلوهية المسيح بالكفار.. الناشر.

ونقول لهم إن ما استشهدتم به من آيات لتأييد باطلكم فهو دليل على جهلكم بكتاب الله، وعلى عطن عقولكم في فهم آياته وتدبر معانيها وإدراك مقاصدها، وسترون في توجيهها وتوضيح مراميها وبيان ما سيقت من أجله بما يتفق مع العقل والنقل .. ﴿وَلِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وهاك الآيات.

الشبهات الواردة في حق النبي محمد ﷺ

الشبهة الأولى:

قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧].

١ــ ضالاً: ما روي مرفوعًا مما ذكر العلامة فخر الدين أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي حتى كاد الجوع أن يقتلني فهداني الله**».

٢ــ يقال: "ضلَّ الماء في اللبن" إذا صار مغمورًا، فمعنى الآية الكريمة: كنت مغمورًا بين الكفار بمكة فقواك حتى أظهرت دينه.

٣ــ قد يخاطب السيد والمراد قومه، أي: وجد قومك ضالين فهداهم به وبشرعك.

الشبهة الثانية:

قال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢ ــ ٣].

اختلف العلماء في تفسير هذه الآية الكريمة.

فقال أهل اللغة: الأصل فيه أن الظهر إذا ثقله الحمل سمع له نقيض، أي صوت كصوت الرحال، وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله ﷺ من إقراره.

وقيل: تخفيف أعباء النبوة التي يثقل الظهر القيام بأمرها وأداء حقوقها كما أمر الله؛ فسهل الله ذلك عليك وحط عنه ثقلها.

وقيل: الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخيل إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، وكان لا يقدر على منعهم إلى أن قواة الله تعالى وقال له: ﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣].

وقيل: إنما ذنوب أمته صارت كالوزر عليه فأمنه الله تعالى من عذابهم في العاجل بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ووعده الشفاعة في الآجل.

الشبهة الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

قال العلامة السبكي: قد تأملتها، أعني الآية السابقة، مع ما قبلها وما بعدها؛ فوجدتها لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا، وهو تشريف النبي ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب، ولكنه أريد أن يستوعب في الآية جميع أنواع النعم من الله تعالى على عباده الأخروية، وهي شيئان: سلبية وهي غفران الذنوب، وثبوتية وهي لا تتناهى، أشار إليها بقوله: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ٢].

والدينوية شيئان أيضًا: دينية، وأشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، ودنيوية وأشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٣].

فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي ﷺ بإتمام جميع أنواع النعم عليه المتفرقة في غيره، ولهذا جعل ذلك غاية الفتح المبين الذي عظمه وفخمه بإسناده إليه بنون العظمة، وجعله خاصًا بالنبي ﷺ بقوله: «لَكَ».

وقد سبق إلى نحو هذا ابن عطية فقال: وإنما المعنى التشريف بهذا الحكم، ولم تكن ذنوب البتة.

ثم قال: وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ريبة في هذا أنه لم يقع منه ﷺ ذنب مطلقًا، وكيف يُتخيل خلاف ذلك؟ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣ ــ ٤].

وأما الفعل فإجماع الصحابة على اتباعه والتأسي به في كل ما يفعله من قليل أو كثير وصغير أو كبير، ولم يكن عندهم في ذلك توقف، حتى أعماله في السر والخلوة، كانوا يحرصون على العمل بها وعلى اتباعها علم بهم أو لم يعلم، ومن تأمل أحوال الصحابة معه ﷺ، استحيا من الله تعالى أن يخطر بباله خلاف ذلك ا.هـ.

الشبهة الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

فلا مرية أنه ﷺ أتقى الخلق، والأمر بالشيء لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به؛ إذ لا يصح أن يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت، ولا يجوز عليه ألا يبلغ ولا أن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك ولا أن يطيع الكافرين والمنافقين، حاشاه الله من ذلك، وإنما أمره بتقوى توجب استدامة الحضور.

وأجاب بعض العلماء عن هذا أيضًا بأنه ﷺ كان يزداد علمه ومرتبته، حتى كان حاله عليه الصلاة والسلام فيما مضى بالنسبة إلى ما هو فيه ترك للأفضل، فكان له في كل ساعة تقوى تتجدد.

الشبهة الخامسة:

قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٨].

لمَّا ذكر المولى سبحانه وتعالى ما كان عليه الكفار في أمره صلى الله عيه وسلم ونسبته إلى ما نسبوه إليه مع ما أنعم الله به عليه من الكمال في أمر الدين والخلق العظيم؛ اتبعه بما يقوى قلبه وينوه إلى التشديد مع قومه؛ فقوي قلبه بهذا مع قلة العدد وكثرة الكفار، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل؛ فقال: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٨]، والمراد رؤساء الكفار من أهل مكة، وذلك لأنهم دعوة إلى دينهم، فنهاه الله أن يطيعهم، وهذا من تهييج للتشديد في مخالفتهم.

الشبهة السادسة:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

اختلف المفسرون فيمن هو المخاطب في الآية.

فقال قوم: المخاطَب به النبي ﷺ.

وقال آخرون: المخاطَب به غيره.

فأما من قال المخاطب به النبي ﷺ فاختلفوا على وجوه:

الوجه الأول:

قال القراء: علم الله تعالى أن رسول الله ﷺ غير شاك، ولكن هذا كما يقول الرجل لولده "إن كنت ابني فبرّني".

الوجه الثاني:

إنه يقال لضيق الصدر "شاك"، يقول: إن ضقت ذرعًا بما تعاني من أذاهم فاصبر واسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك كيف صبر الأنبياء على أذى قومهم وكيف كان عاقبة أمرهم من النصر. فالمراد تحقيق ذلك، والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة، وأن القرآن مصدق بما جاء فيها.

أو تهييج الرسول عليه الصلاة والسلام وزيادة تثبيته، أو يكون على سبيل الفرض والتقدير لا إمكان وقوع الشك، ولذلك قال ﷺ لما نزلت هذه الآية: «والله لا أشك ولا أسأل».

وأما من قال إن المخاطب غيره ﷺ فتقريره أن الناس كانوا في زمانه عليه الصلاة والسلام فرقًا ثلاثة: المصدقون به، والمكذبون له، والمتوقفون في أمره الشاكون فيه؛ فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال: فإن كنت في شك أيها الإنسان مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان نبينا محمد ﷺ فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، فإن المراد بـــ"الإنسان" هنا الجنس لا إنسان بعينه، فكذا هناك.

ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل شكهم حذرهم من أن يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٥].

الشبهة السابعة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

قال القاضي عياض: لا يلتفت إلى قول من قال "لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى"؛ إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفاته تعالى، وذلك لا يجوز على الأنبياء.

والمقصود: وعظهم ألا يتشبَّهوا في أمورهم بسمات الجاهلين، وليس في الآية دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه الله عن الكون عليها، فأمره ﷺ بالتزام الصبر على إعراض قومه، ولا يخرج عن ذلك، فيتقارب حال الجاهل. حكاه أبو بكر بن فورك.

وقيل: خطاب لأمته عليه الصلاة والسلام، أي: فلا تكونوا من الجاهلين. حكاه أبو محمد مكي.

قال: ومثله في القرآن كثير.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فالمراد غيره، كما قال: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ١٤٩]، فالمراد غيره، وإن هذه حال من أشرك.

والنبي ﷺ لا يجوز عليه هذا، والله تعالى ينهاه عما يشاء ويأمره بما يريد، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وما طردهم عليه الصلاة والسلام، وما كان من الظالمين.

الشبهة الثامنة:

قال تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

قيل معناه: ما كنت تدري الإيمان على التفصيل الذي شرع لك في القرآن.

وقال أبو العالية: هو بمعنى الدعوة إلى الإيمان؛ لأنه كان قبل الوحي لا يقدر أن يدعو إلى الإيمان بالله تعالى.

وقيل معناه: إنه كان يعرف الإيمان حين كان في المهد وقبل البلوغ.. حكاه الماوردي والواحدي والقشيري.

وقيل إنه من باب حذف المضاف، أي "ما كنت تدري أهل الإيمان"، أي مَن الذي يؤمن، أبو طالب أو العباس أو غيرهما؟

وقيل: المراد به شرائع الإيمان ومعالمه، وهي كلها إيمان، وقد سمى الله الصلاة إيمانًا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي صلاتكم إلى بيت المقدس؛ فيكون اللفظ عامًا، والمراد الخصوص، قاله ابن قتيبة وابن خزيمة، وقد اشتهر في الحديث أنه ﷺ كان يوحِّد الله وينقض الأوثان ويحج ويعتمر.

روى أبو نعيم وابن عساكر عن على قال: قيل للنبي ﷺ: هل عبدت وثنًا قط؟

قال: لا. قيل: فهل شربت خمرًا قط؟ قال: «لا، ومازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان».

الشبهة التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس: ١ ــ ١٠].

هذا عتاب لطيف من الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ عندما أقبل على الكافر واهتم بأمر إسلامه، وان كان في علم الله لا جدوى فيه ولا

خير يرجى منه، بينما أعرض عن ابن أم مكتوم الذي جاءه ساعيًا بطلب العلم والمواعظ، وهو مع إيمانه سينتفع بها.

ومع هذا فإن ما فعله النبي ﷺ ليس ذنبًا يؤاخذ عليه، بل إن ما أشارت إليه الآيات إنما هو إعلام الله له أن ذلك المتصدي له ممن لا يتزكى، وأنه لو كشف له حال الرجلين لاختار الإقبال على الأعمى.

ففعل النبي ﷺ من تصديه للكافر وإعراضه عن المؤمن كان طاعة لله وتبليغًا عنه واستئلافًا له وحرصًا على هداية الكفار إلى الإيمان بالله، والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ٨]، أي ليس عليك بأسى في ألا يتزكى بالإسلام، أي لا يبلغن بك الحرص على إسلامهم أن تعرض عمن أسلم.

الشبهة العاشرة:

قال الله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

يفهم من ظاهر الآية السابقة صدور ذنب من النبي ﷺ بدليل قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، والعفو يستدعي سالفة ذنب.

وأجيب عن هذا بأن «عفا» هنا ليس بمعنى غفر، بل كما قال النبي ﷺ: «**عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق**»، ولم تجب عليهم، أي لم يلزمكم ذلك.

ونحوه للقشيري قال: وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب، قال: ومعنى «عفا الله عنك» أي لم يلزمك ذنب.

وأما قوله: ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾، يحصل على ترك الأولى والأفضل.

قال نفطويه: ذهب ناس إلى أن النبي ﷺ معاتَب بهذه الآية الكريمة، وحاشاه الله من ذلك، بل كان مخيرًا، فلما إذن لهم أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم، وأنه لا حرج عليهم في الإذن.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في أناس قالوا استأذنوا رسول الله ﷺ، فإن إذن لكم فاقعدوا وان لم يأذن لكم فاقعدوا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، أي في أبداء الأعذار، و﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

يقول تعالى: "هلا تركتهم لمَّا استأذنوك، فلِمَ تأذن لأحد منهم في القعود عن الغزو، وإن لم تأذن لهم فيه"، ولهذا أخبر الله تعالى أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو أحد يؤمن بالله ورسوله، فقال: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ...﴾ أي في القعود عن الغزو ﴿...الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾، لأنهم يرون الجهاد قريه ولما ندبهم إليه بادروا وامتثلوا،

﴿ ...وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ... ﴾ أي في القعود، من لا عذر له ﴿ ...الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾، أي لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة، أي لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة ﴿ ...وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ... ﴾، أي شكت في صحة ما جئتهم به، ﴿ ... فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٤ ــ ٤٥]، أي يتحيرون، يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى، وليست لهم قدم ثابتة في شيء، فهم قوم حيارى هلكى، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ﴿ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ [الكهف: ١٧].

وما أحسن ما قيل في هذه الآية، هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا، نداء بالعفو قبل المعاتبة؟!

الشبهه الحادية عشر:

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧ ــ ٦٨].

روي من مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما هُزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون وأسر سبعون، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعليًّا، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: يا نبي الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله لنا فيكونوا لنا عضد، فقال رسول الله عليه وسلم: وما ترى يا ابن الخطاب؟

قال: قلت والله ما أرى رأي أبو بكر، ولكني أرى أن تمكني من فلان (قريب لعمر) فأضرب عنقه، وتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هواده للمشركين، فاختار رسول الله ﷺ ما قاله أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت، وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغداة غدوت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال النبي ﷺ: أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة (إشارة لشجرة قريبة)؛ فنزل قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ[1] فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ[2] الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧ ــ ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام وأهله.

وليس في هذا إلزام ذنب للنبي ﷺ، بل فيه بيان ما خُصَّ به وفُضّل سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكأنه قال: "ما كان هذا لأحد غيرك"، قال عليه الصلاة والسلام: «**أُحلّت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي**».

وأما قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧].

قيل: المراد بالخطاب من أراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها، وليس المراد بهذا النبي ﷺ، ولا علية أصحابه.

بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر، واشتغل المسلمون بالسلب وجمع الغنائم عن القتال، حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو.

---

[1]- يثخن: يبالغ في قتل الكفار.

[2]- عرض الدنيا: حطامها بأخذكم الفدية.

ثم قال تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ . . .﴾ [الأنفال: ٦٨].

فقيل: معناها لولا أنه سبق مني أني لا أعذب أحدًا إلا بعد النهي لعذبتكم، فهذا نفي من أن يكون قبول الفداء من الأسرى معصية.

وقيل: لولا إيمانكم بالقرآن، وهو الكتاب السابق، فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم.

وقيل: لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لعوقبتم، وهذا كله ينفي حدوث الذنب؛ لأن من فعل ما أحل له لم يعصِ، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩].

الشبهة الثانية عشرة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ــ ٤٧].

معنى الآية: لو افترى علينا بشيء من عند نفسه لأخذنا منه باليمين وقطعنا نياط قلبه وأهلكناه، وقد أعاذه الله من التقوّل عليه وحفظه وصانه حتى من خواطر النفس وادنى الهفوات، وهذا من كمال إحسانه إليه وتمام نعمته عليه.

الشبهة الثالثة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

قال العلامة ابن كثير:

قال ابن جرير: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا حتى تستجيب لندائهم وتلبي دعوتهم، وذلك باتباع ملتهم، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١].

أي: قل يا محمد إن هدى الله الذي بعثني بمحو الهدى، يعني هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾، قال خصومة علمها الله محمدًا ﷺ وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة.

قال قتادة: وبلغنا أن رسول الله ﷺ، كان يقول «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**».

قال ابن كثير: هذا الحديث مخرج في الصحيح عن عبد الله ابن عمرو.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة، عياذاً بالله من ذلك، فإن الخطاب مع الرسول ﷺ والأمر لأمته.

الشبهة الرابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ[1] الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ[2] يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قال العلامة ابن كثير: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾، أي لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات ـــ من مداومتهم على الطاعة صباح مساء، مبتغين بها وجه الله تعالى ـــ عنده، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك كقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

[1]- ولا تطرد: لا تبعد.

[2]- بالغداة والعشي: بالليل والنهار.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، كقول نوح عليه السلام في جواب الذين قالوا: «أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ؟»، قال: «وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؟ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ» [الشعراء: ١١١ ــ ١١٣]، أي إنما حسابهم على الله عز وجل وليس عليَّ من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء.

وقوله: ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

أي إن فعلتَ ذلك بإبعاد من اتبعك من الفقراء والضعفاء واستجبت لكفار قريش فتكون عاملاً عمل الظالمين.

روى ابن جرير من طريق أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال: مرَّ الملأ من قريش برسول الله ﷺ وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم من بيننا؟ نحن نصير تبعًا لهؤلاء؟ قالوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء.

وقالوا: اطردهم، فلعلك أن طردتهم نتبعك، فنزلت هذه الآية الكريمة ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ... ﴾ [الأنعام: ٥٢] ا.هـ.

الشبهة الخامسة عشرة:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ... ﴾، أي يخون.

وعن ابن عباس رضي الله عنه، أن الآية نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، وأكثروا في ذلك؛ فنزلت.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ... ﴾، بأن يترك بعض ما أنزل إليه فلا يبلغ أمته.

وقرأ الحسن البصرى وطاوس ومجاهد والضحك: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ. . .﴾، بضم الياء، أي يُخان.

وفسر بعض العلماء هذه القراءة بمعنى يتهم بالخيانة، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].. وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد.

وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك أيضًا في أحاديث متعدده.

روى الإمام أحمد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض، تجدون الرجلين جارين في الأرض أو في الدار فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعًا، فإذا أقطعه طوقه من سبع أرضين يوم القيامة**».

الشبهة السادسة عشرة:

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

قال العلامة ابن كثير في تفسيره:

قال مجاهد وغير واحد: نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مجدبة، حر شديد وعسر من الزاد والماء.

قال قتادة: خرجوا إلى الشام عام تبوك في لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهد شديد، حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم، يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها؛ فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً، فأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، وحتى إن كان الرجل ليذهب ليلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرًا، فادع لنا، فقال: «تحب ذلك؟»، قال: نعم. فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فأهطلت ثم سكنت، فملأ كل واحد ما معه ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.

وقال ابن جريرة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، أي من النفقه والظهر والزاد، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾، أي عن الحق وبشك في دين الرسول ﷺ، ويرتاب للذي نالهم من المشقه والشدة في سفرهم وغزوهم، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: ثم رزقهم الإنابة إلى ربهم والرجوع إلى الثبات على دينه، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] ا.هـ. ابن كثير.

وقال العلامة النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾، أي تاب عليه بإذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ [التوبة: ٤٣].

﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧]، فيه بعث للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة، حتى النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة في غزوة تبوك، ومعناه في وقتها.

و«الساعة» مستعملة في معنى الزمان المطلق، وكانوا في عسرة من الظهر يتعقب العشرة على بعير واحد، ومن الزاد تزودوا التمر المدوَّد والشعير المسوَّس والإهالة[1] الزنخة!

﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾، عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِم﴾ [التوبة: ١١٧]، تكرير للتوكيد ا. هـ نسفي.

الشبهة السابعة عشرة:

قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٦ ــ ١٠٧].

يقول الله تعالى آمرًا نبيه ﷺ ومن اتبع طريقه: اتبع ما أوحي إليك من ربك، أي اقتدِ به واقتفِ أثره واعمل به، فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق الذى لا مرية فيه، لأنه لا إله إلا هو.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، أي اعفُ عنهم واصفح واحتمل أذاهم حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم، واعلم أن لله حكمة في إضلالهم، فإنه لو شاء لهدى الناس جميعًا، ولو شاء لجمعهم على الهدى .. ﴿وَلَوْ

[1] – الإهالة: الردة.

شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾، أي بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الأنعام: ١٠٧]، أي حافظًا تحفظ أقوالهم وأعمالهم، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾، أي موكل على أرزاقهم وأمورهم، إن عليك إلا البلاغ كما قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١ ــ ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

مطاعن المستشرقين في الرسول والرسالة الإسلام دعوة عالمية

دعوى خصوص الرسالة المحمدية بالعرب

ومن المحاولات المكشوفة التي أرادوا من ورائها صرف غير العرب عن الإسلام وتشكيكهم في أنه خاص بالعرب دون ما سواهم، ودللوا على أقوالهم المفضوحة بآيات قرآنية ليلبسوا عليهم أمرهم، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤]، وفي قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [القصص: ٤٦]، قالوا إنها خاصة بغير المنذرين وعلى هذا فلا تشمل من أنذروا من اليهود والنصارى.

الجواب:

أولاً أن نقول فإنه وان كانت هذه الآيات السابقة تفيد الخصوص إلا أن التعميم بالرسالة قد ورد في آيات أخرى مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فهذه الآية الكريمة تدل دلالة

واضحة على أنه لا يقبل من الديانات بعد بعثة الرسول محمد ﷺ إلا الديانة الإسلامية*.

ولذا عندما حاول اليهود في هذه الأيام أن يحرفوا القرآن الكريم وضعوا أيديهم على هذه الآية التي تُعد من أكبر أدلة العموم، فحرفوها إلى «ومن يبتغ الإسلام دينًا فن يقبل منه»، ولكن الله كشفهم وفضح حالهم وبيَّن للمسلمين ما يضمره هؤلاء اليهود من عداء لرسالة الإسلام.

ويمكن أيضًا أن يقال إن قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص: ٤٦]، كان في بدء الدعوة.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فليست هذه الآية خاصة بأقربائه، ولكن المراد "أبدا أولاً بأهلك وأقرب الناس إليك، ثم بعد ذلك انشرها على قومك من أهل بلدك، ثم على من حولها من القرى، ثم على سائر الخلق، وهذا أمر طبيعي في تدرج

* يجب أن نفرق هنا بين «الدين» و«الديانة»، فالأول اسم أعم يشتمل الثاني، فكل الديانات السماوية من مسيحية ويهودية وغيرها مشمولة في "دين" الإسلام، ويدلل على ذلك أن كل أتباع الرسل سمّوا «مسلمين»، ثم جاءت الديانة "المحمدية"، ولكونها خاتم الرسالات فقد حملت نفس الاسم الرئيس للدين، مثال الدولة التي تحمل عاصمتها اسم الدولة نفسه، ولكن هذا لا يخرج تبعية بقية المدن للدولة ذاتها، وبهذا يزال أي لبس أو تشكيك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].. والله أعلم.. الناشر.

الدعوة حيث تبدأ في محيط ضيق ثم إلى أكبر منه وهكذا حتى تكتمل، وقد اكتملت دعوة الإسلام حتى عمت العالم أجمع، وورد عن سيدنا عيسى عليه السلام ما يوضح هذا أيضًا؛ فإنه قال لتلاميذه الحواريين: «إني لم أُرسَل إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل، وانطلقوا خاصة إلى الخراف من بني إسرائيل، ثم انطلقوا إلى العالم أجمع، وبشروهم بالإنجيل»، فخصص ثم عمَّم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤]، فلا يستفاد منها خصوص الرسالة؛ وذلك لأن الرسول عامة يرسل في قومه وهو يتكلم بلغتهم، وهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى دليل، ثم يتعداهم إلى غيرهم بإرسال الرسائل والوفود إلى الملوك، وللملوك مترجمون يترجمون لهم كل ما يصلهم من لغات الأمم الأخرى أو من يفد إليهم من وفود، كما هو عليه الحال الآن في كل البلاد والأمصار، وهذه هيئة الأمم المتحدة تضم مندوبين من مختلف بلاد العالم التي تتكلم بلغات مختلفة، ومع هذا فالتفاهم بينهم تام عن طريق الترجمة، وقد كان من أصحاب رسول الله ﷺ من يعرف اللغات أمثال سليمان الفارسي وغيره، فكان يستعين بهم في معرفة لغة الوفود التي كان تفد إليه للتعرف على تعاليم الإسلام أو لعرض إسلامهم على الرسول ﷺ... إلخ.

ونقول في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص: ٤٦]،

إن الرسول محمد ﷺ لم يخالف الله تعالى في إنذاره النصارى كما تقول النصارى؛ وذلك لأن النصارى أنفسهم تقوَّلوا على المسيح ﷺ وقالوا إنه ابن الله أو إله وما شاكل ذلك مما ابتدعوه، فحالهم إذن كحال غير المنذرين؛ لأنهم لم ينتفعوا برسالة عيسى ولم يلتزموها ولم يعملوا بها، ولهذا نزلوا منزلتهم، ولو كانوا مؤمنين حقًا برسالة عيسى كما قالوا وسموا أنفسهم منذرين لآمنوا برسالة محمد ﷺ؛ لأنه بشرهم به في الإنجيل، ودعاهم إلى الإيمان به، لكنهم لم يؤمنوا ولم يلتزموا رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام، ومن أجل هذا أنذرهم الرسول ﷺ ودعاهم إلى الإيمان الحق، حيث لم ينتفعوا بما أنذروا به.

ويذهب جولد زيهر إلى أن دعوة الإسلام دعوة عالمية للناس كافة فيقول: «إن محمدًا ﷺ أراد بدينه منذ أوائل الدعوة أن يكون دينًا عالميًا، ولم يرد به أن يكون مجرد عقيدة محلية وطنية» ا.هـ*.

* وبالنسبة لقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، فقد أثبتت نظريات علمية حديثة وقوع مكة المكرمة في مركز الأرض تماما، إذ أكدت دراسات علمية حديثة تمركز مكة المكرمة في قلب دائرة تمر بأطراف جميع القارات، بما أثبت توزع اليابسة حول مكة بشكل منتظم دقيق، لذا فقد شمل «ما حولها» كل الأرض.. والله أعلم.. الناشر.

دعوى أخذ الرسول من أحبار اليهود ورهبان النصارى

ومن افتراءاتهم قولهم إن محمدًا ﷺ استفاد من أسفاره ممن تبعهم من الأحبار والرهبان ومن عاصرهم من اليهود والنصارى، إذ كانت الديانتان تنتشران في بلاد العرب.

ونقول لهم إن النبي ﷺ لم يتلقَّ شيئًا من علماء اليهود ولا من علماء النصارى، ولم يثبت أنه حضر مجالسهم أو خالطهم، بل عاش أميًا إلى أن بُعث ﷺ، ولو كان الرسول ﷺ تلقى علمًا من علماء الشام أو غيرهم في أسفاره أو إقامته لنقل ذلك أتباعه الذين لم يتركوا شيئًا عُلم عنه أو قيل فيه ولو لم يثبت إلا ودونوه، ووكلوا أمر صحته أو عدمها إلى إسناده وما علم من سيرة رواته.

وقالوا أيضًا إن محمدًا ﷺ كان يعرف أخبار الرسل وقصصهم وما حدث لهم مع أقوامهم من الأحبار والرهبان.

ونقول لهم إن نصوص القرآن الكريم صريحة في أنه ﷺ لم يكن يكذب على أحد، فضلاً عن الكذب على الله عز وجل، كما اعترف بذلك أبو جهل أعدى أعدائه.

ومن الشواهد الدالة على ذلك قوله تعالى، عقب قصة موسى في مدين، وما بعدها في سورة القصص: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٤ ــ ٤٥].

وقوله تعالى بعد قصة نوح من سورة هود: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

ومن الشواهد التي لم يعرفها أحد من أهل الكتاب أنفسهم قوله تعالى بعد قصة زكريا وولادة مريم وكفالته لها، فيتوهم أنه مأخوذ عنهم: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

فكل ما أثاره المستشرقون الماديون حول الوحي من شبهات وما صوروه من مزاعم ليقطعوا صلة الرسول ﷺ عن الوحي ويشككوا المسلمين في عقائدهم، لهو بالشيء البين الواضح زوره وبهتانه من أن يكون مصدر الوحي القرآن الكريم، فالقرآن الكريم أعلى وأجل وأكمل مما كان يعرفه الأحبار والوهبان أيًّا كانت درجة علمهم وقراءاتهم، وذلك بما اشتمل عليه من إخبار بالغيب وأسرار الكون وقوانين وأحكام وآداب ووصايا، وغير ذلك مما به صلاح البشرية جمعاء، ويعجز عن الإتيان بمثله، بل يستحيل على العقل البشري، أن يأتي باقصر سورة منه.

قصة الغرانيق

الآية الكريمة..

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٢ ــ ٥٣].

القصة:

اعلم يا أخي المسلم أن هذه القصة موهومة مفتراة على نبي الإسلام، ولا حقيقة لها أصلاً كما قال ابن إسحاق"إنها من وضع الزنادقة أرادوا بها أن يكيدوا للإسلام كما أرادوا بغيرها من مفترياتهم الكثيرة، وكم لهم من قول ردده الغفلة، يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم".

ومجمل هذه القصة كما يقول الكافرون: أن رسول الله ﷺ ضجر من مقاطعة قومه وإيذائهم لأصحابه، فتمني ألا ينزل عليه شيء من الوحي ينفرهم منه، فدنا من قومه ودنوا منه، فجلس يومًا بجانب الكعبة ببعض أندية قريش يتلو على قومه «سورة النجم»، فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩ ــ ٢٠]،

جرى على لسانه، حاشاه الله من ذلك، تلك الكلمة «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى»، وفي رواية «شفاعتهما».

ثم استمر في قراءة السورة، فلما أتمها سجد وسجد معه القوم ولم يتخلف منهم أحد وقالوا: علمنا أن الله يحي ويميت ويخلق ويرزق، ولكن آلهتنا تشفع لنا عنده، أما وقد جعلت لها نصيبًا فنحن معك.

وترامى، كما يدَّعون، خبر هذه القصة المكذوبة إلى المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، فقالوا إذن تم الصلح بين النبي ﷺ وقومه، فلا علينا إذا رجعنا إلى قومنا، فعشائرنا أحق بنا .. واحتملوا راجعين إلى مكة.

فلما كانوا على ساعة منها قابلهم ركب من كنانة فسألوه، فقالوا إن النبي ﷺ ذكر آلهة قريش بخير فكفوا عن الأذى، ولكنه عاد فعادوا إلى الشر، فاشتوروا فيما بينهم أيرجعون أو يدخلون مكة، ولكنهم لم يطيقوا صبرًا على فراق أهلهم، فدخلوا مكة بجوار، ولم يدخل أحد منهم من غير جوار إلا رجل واحد هو عثمان بن مظعون، لأنه كان عزيزًا في قومه، فدخل مكة معتمدًا على عزته..

ثم يقول: إن النبي ﷺ رجع فيما قال لسببين:

الأول:

إنه عز عليه أن قريشًا يقولون "أما وقد جعلت لنا نصيبًا فنحن معك".

الثاني:

إنه أمسى ودخل بيته فجاءه جبريل عليه السلام واستقرأة سورة النجم، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩ ــ ٢٠]، أكمل مضيفًا: «... تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لتُرتجَى».

قال جبريل: أو قلت لك هذه الكلمات؟ فندم الرسول ﷺ وقال: إذن قلت على الله ما لم ينزل، وعاد يتلو السورة دون كلمة «غرانيق»، فغضبت عليه قريش، وكانت قد رضيت عنه إذ ذكر آلهتها بخير، فجعلها ــ كما يقولون ــ مرجوَّة الشفاعة عند الله.

وهذه القصة المزيفة مذكورة في «الطبقات الكبرى» لابن سعد، كما رواها الطبري في تاريخه، ومن العجيب أن دعاتها لم يتركوها دون دليل، بل ساقوا لها دليلاً من القرآن ليؤيدوا به سفههم وبهتانهم.

• أولاً- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣ ــ ٧٤]، والاستدلال بهذه الآية الكريمة بعيد جدًا ولا يستدل بها إلا من يجهل اللغة العربية وأسباب النزول.

أما اللغة العربية فإن أهلها ينقسمون إلى قسمين: قسم منهم يقول إن «كاد» إثباتها نفي ونفيها إثبات، ويقولون في هذا شعرًا لا بأس بروايته:

أَلا يَا نُحَاةَ العَصْرِ مَا هِيَ لَفْظَةٌ
جَرَتْ فِي لِسَانَي جُرْهُمَ وَثَمُود
إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي مَعْرَضَ النَّفْي
وَإِنْ أَثْبَتَتْ قَامَتْ مَقَامَهُ جُحُود

ويقولون إن هذه هي «كاد»، وعلى هذا يكون معنى الآية ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، أي لم يفتنوك، لأن إثبات «كاد» معناه النفي.

أما الفريق الثاني فيقول: أن «كاد»، من أفعال المقاربة، ومعناها قاربوا، فإذا قلت: "كاد محمد يخرج"، معناها أنه قارب أن يخرج ولم يخرج، وهي على هذا أيضًا لا دليل في الآية على هذا الاستشهاد، لأن المعنى أنهم قاربوا أن يفتنوك ولم يفتنوك، بدليل ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

هذا من جهة اللغة العربية.

أما من جهة أسباب النزول والتفسير فإن المفسرين يختلفون في الآية، فمنهم من يقول إنها نزلت بمكة والسبب في نزولها أن قريشًا قالوا للنبي

ﷺ: لا نمكنك من استلام الحجر الأسود حتى تلم بآلهتنا وتسلم عليها، فأبى النبي ﷺ، وهذا بعيد جدًا عن قصة الغرانيق المختلفة.

• والسبب الثاني:

وهو الراجح، أن الآية مدنية نزلت في عام الوفود، وهذا كان في آخر الأعوام تقريبًا عام الحديبية، وكان هذا من وفد «ثقيف»، جاء هذا الوفد إلى النبي ﷺ، وقال: لن ندخل في أمرك حتى تجعل لنا خصالاً نفتخر بها على العرب، لا نعشر (أي لا يؤخذ منا العشر)، ولا نحشر، أي لا نجاهد مع المجاهدين، ولا نجبى (أي لا يؤخذ منا جباية)، وتمتعنا باللات سنة -كاملة، وتحرم أرضنا كما حرمت مكة، فإذا قال لك العرب لِمَ فعلت ذلك؟ قلت لأن الله أمرني به، فأبى النبي ﷺ عليهم ذلك، فنزلت الآية ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ. . .﴾، وعلى كل حال فالآية بعيدة عن موضوع القصة ولا علاقة لها بها.

أما الآية الثانية التي استدلوا بها على دعواهم فقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

وهذه الآية أيضًا بعيدة عن الموضوع، ويظهر ذلك من سبب النزول، وقد اختلف المفسرون في معنى كلمة «تمنى» فمنهم من قال إنها من التمني المعروف، وهو طلب الشيء البعيد حتى يُنال، الو بمعنى «تلا»، وهنا يكون الكلام: «إذا تلا ألقى الشيطان في قراءته»، فما معنى إذن «إلقاء الشيطان»؟

فأعداء الإسلام يقولون: ولقد ألقى الشيطان في تلاوة رسول الله ﷺ «الغرانيق العلا»، فهي من وسوسته نفخه أو نفثه، فلما تبين الرسول ﷺ ذلك تلا الآية دون غرانيق.

كلام هو عين الخطل والجهل والافتراء، وسواء أكانت تعني من الأمنية المفهومة أم كانت بمعنى التلاوة، فإن إلقاء الشيطان إنما يكون بالشبه والأضاليل ومختلف صنوف التأويل الذي يفتعل ابتغاء الفتنة، ونلاحظ في الآية الكريمة أن معمول الإلقاء لم يذكر كيما يكون عامًا شاملاً كل ما يمكن أن يلقى أو يلبس إبليس مما ينسخه الله ليجعله فتنة، فإذا قلت كما قالوا ينسخه أي يمحوه أو يزيله، فكيف يأتي لهذا المحو أو المزال أن يكون فتنة؟

إن إلقاء الشيطان لمعان صورها ألفاظ أو أقوال، فإذا امحت فهي عدم لا يؤثر الوجود فتنة أو غيرها فلابد أن تكون.

ينسخ هنا بمعنى يثبت .. يثبت الله ما يلقي الشيطان، لا في آي الذكر الحكيم، بل في صورة فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم، وإن

قصة الغرانيق نفسها لإحدى هذه الفتن، فلقد أثبتها تعالى في سفر الوجود وأبقاها فتنة، ألقاها الشيطان لمناسبة تلاوته ــ ﷺ ــ القرآن، أو لمناسبة تمنيه عليه السلام إنجاح الرسالة وفلاح المؤمنين، ألقاها في روع الزنادقة، ورددها ذوو الغفلة من قدمائنا الطيبين؛ فبقيت للمستشرقين وغيرهم من مرضى القلوب وقساتها.

ومهما يكن الأمر فإن ما يلقيه الشيطان لا يمكن أن يختلط بما ينزله روح القدس على قلب النبي الأمين المعصوم من الخطأ في التبليغ، بله الخطيئة، فلو أنه ﷺ تلا الآية محتوية "الغرانيق العلا" لكان قد خان الأمانة في التبليغ، ولناله ما ينال المتقوّل على الله تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ[1]﴾ [الحاقة: ٤٤ – ٤٦].

على أن التصديق بهذه الفرية يمس الدين من أساسه؛ لأنه إذا كان النبي ﷺ يتساهل في الوحي ويقول من عند نفسه، فإذا قال في هذه الحادثة فإنه يمكن أن يقول في غيرها، ولم يحدث شيء مثل هذا من نبي قط، فضلاً عن سيد الأنبياء وخاتم رسل الله ﷺ .. **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا.**

[1] – الوتين: عرق متصل بالقلب لو قطع مات الإنسان.

أظن بعد هذا كله لم تبقَ شبهة في أن هذا الحديث من وضع الزنادقة كما قال شيخ المؤرخين محمد بن إسحاق، فإنه لم يتردد حين سئل عن هذا الحديث في أن يقول إنه من وضع الزنادقة، وقد وضعوه لأغراضهم، وصدقه الناس الذين يولعون بكل غريب، ودخل وراج في العقول التي لا تميز المنطق الصحيح من المنطق الفاسد، ومن توفيق الله وتأييده لهذا الدين أن الله تعالى يؤيده بأنصاره وبغير أنصاره ومعتنقيه.

والمؤرخ الإيطالي «كيتاني»، كتب في الإسلام كتبًا كثيرة جدًّا وضخمة، وقال في هذه الحادثة إنه بحث في التاريخ بحثًا مستفيضًا جدًا فلم يعثر لها على سند صحيح .. **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا**.

وحسبنا في هذا قول الله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ
وما أثير حولها من شبهات

يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ من ينسب إليه أنه أكثر من زيجاته بدافع الشهوة والميل إلى النساء؛ فقد قضى حياته الأولى، حياة الفتوة والشباب، في بيئة الجاهلية، حيث تخرج النساء متبرجات متعرضات لفتيان قريش وشبابها ورجالها، وكان النظر إليهن ومحادثتهن أمرًا مباحًا لا ضير على أحد ان يصل حباله معهن.

ومع نشأة سيدنا محمد ﷺ في هذا الوسط المفتون بشهوة النساء واتخاذ الأخدان فلم ينقل التاريخ عنه حتى على لسان أعدائه الذين كانوا يفترون عليه الكذب ويقولون هو شاعر وهو ساحر ... لم يقل أحد منهم إنه شارك أترابه في لهوهم وشربهم وفجورهم، أو أنه شغف بفتاة من قريش، وبغى ما يبتغيه غيره، ولو فعل لوجد الكثيرات يؤثرنه لجمال طلعته واستواء خلقه وكرم صفاته، فقد كان وسيم الطلعة مبسوط الجبين واسع العينين عالي العنق أزهر اللون.

لكنه لم يفعل؛ لأن الله الذي آواه، وعلمه ورباه، واختاره واصطفاه، قد وقاه من آثام الجاهلية وعبثها وفجورها.

روي أنه ﷺ كان يرعى الغنم مع زميل له، فأفضى إليه ذات مساء أنه يود أن يهبط إلى مكة ليلهو بها، وطلب إليه أن يقوم على حراسة

أغنامه، فلما بلغ مكة استرعى انتباهه عُرس، فوقف عنده، فما لبث أن نام حتى أيقظته حرارة الشمس.

لقد حفظه الله من لهو الشباب فلم يعرف عنه نزواتهم ولا شرورهم ولا طيشهم، ولا تحدث أحد بذلك عنه، حتى بلغ الخامسة والعشرين، فإذا بخديجة، وقد حدثها ميسرة غلامها عن محمد وأخلاقه السامية، وعن حلو شمائله ورقة عواطفه في رحلته إلى الشام، إذا بها وقد سمعت من محمد خبر تجارتها وربحها بعبارته البليغة الساحرة، إذا بها قد انقلبت غبطتها بربحها إلى حب لمحمد ورغبة في الزواج به، مع أنها قد ردت من قبل أكابر قريش شرفًا ونسبًا .. إذا بها تقبله زوجًا وما بيده أن يتزوج به[1].

١) زواجه بالسيدة خديجة

ويتزوج سيدنا محمد، ﷺ، خديجة، وسنها وقتئذ أربعون سنة وسنُّه خمس وعشرون أو أقل، ويقضي محمد ﷺ معها فترة شبابه حتى يتخطى الخمسين، ويرزق منها بالأولاد، ويفتقد الذكور وتحيا الإناث، وسيدنا محمد لا يفكر في زواج غيرها، مع أن الحرص على الولد الذكر في ذلك العهد كان كالحرص على الحياة، ومع أن تعدد الزوجات كان مباحًا شائعًا في مكة وغيرها في بلاد الدنيا بلا حصر، وكان كثير من أصحاب

[1] – مقال لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود إبراهيم خليل بمجلة «الشبان المسلمين» العدد ١٢٧ مايو سنة ١٩٦٣م.

الرسول ﷺ والمسلمين في مكة بعد البعثة تحته عدد من الزوجات، ومع هذا لا يفكر سيدنا محمد ﷺ أن يضم إلى خديجة غيرها، ويقضي معها حياة الشباب والفتوة وحدها، ولو تزوج غيرها لما كان في ذلك غضاضة أو لوم، ولو مد يده إلى عديد من فتيات قريش الأبكار الزاهرات لوجد منهن ومن آبائهن ترحيبًا وإقبالاً، لكنه لم يفعل؛ لأنه آثر الواحدة على التعدد، ولو قدِّر لخديجة أن تطول حياتها لما فكر في الزواج، لقد ظل يذكرها حياته أطيب الذكر، حتى كانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها»، وظل يكرم كل من كانت لها صلة بخديجة رضي الله عنها، دخلت عليه امرأة فهش لها، وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «**إنها كان تأتينا أيام خديجة**».

ولما جاءت هالة أخت خديجة لزيارته في المدينة اهتز لها مغتبطًا، وقابلها بالترحيب والابتسام، فقالت عائشة بعد انصرافها معرضة بخديجة: «ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين»، تعني سقوط أسنانها واحمرار لثتها، عندئذ تغير وجه رسول الله ﷺ وقال: «**والله ما أبدلني الله خيرًا منها، آمنت بي حين كذبني الناس، وواستني بمالها حين حرمني الناس**».

وحق لرسول الله ﷺ أن يقول ما قاله، فقد كانت خديجة توليه من حبها وبرها ومن رقة نفسها وطهارة قلبها وقوة إيمانها، وما تخفف عنه من

أعباء الدعوة ومشاقها، وتهون عليه كل شدة وتزيل عن نفسه كل وحشة، لذلك ظلت خديجة وحدها زوجته اثنتين وعشرين سنة قبل البعثة وبعدها، ركن إليها وحدها، ولم يوحشها بغيرها، إيثارًا لها ورضًا بها وحدها، أليس هذا دليلاً عمليًا على أن محمد ﷺ يؤثر زواج الواحدة على التعدد؟

٢) خطبة عائشة ودخوله بسودة

فلما توفيت الزوجة الوفية السيدة خديجة رضي الله عنها وانقضى زمن الحداد عليها، رغب في الزواج؛ لعله يجد في زواجه من العزاء ما كانت تقوم به خديجة في مواساته وبره، وتهون عليه الشدائد، ورأى أن يزيد أواصر المودة بينه وبين أبي بكر متانة وقوة وقربى؛ فخطب عائشة وهي ما تزال طفلة*، ولم يبنِ بها (يدخل) إلا بعد سنتين من خطبتها، وبعد هجرته إلى المدينة.

وفي أثناء خطبتها تزوج بسودة بنت زمعة، وهي امرأة ثيب، لم تكن ذات جمال ولا مال ولا منزلة في قومها كخديجة، ولا أي شيء يوجد فيها من يرغب في الزواج منها سوى أنها كانت زوجًا لمسلم هو السكران بن عبد شمس، هاجر إلى الحبشة وهاجرت معه، ولاقا من المشاق والأذى ما لاقا، لتمسكهما بدين الإسلام، فلما مات زوجها آثر

* خطبته صلى الله عليه وسلم ثم زواجه بعائشة وهي صغيرة هو رأي ضعيف توضحه الأسطر القادمة.

النبي ﷺ أن يتزوج بها ليرفع مكانتها، وليعلم المجاهدين من المسلمين أنهم اذا ماتوا وتركوا أزواجًا أو ذرية ضعافًا خافوا عليهم، فإن محمدًا ﷺ هو الكفيل الذي يعلولهم ويتولى أمرهم، وهذا مصداق قوله ﷺ «**من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك كلا وعيالاً فإليَّ وعليَّ**»، وبهذا يتبين لنا سبب زواجه ﷺ، بسودة بنت زمعة رضي الله عنها.

٣) السيدة عائشة بنت أبي بكر

هي الزوجة البكر الوحيدة بين نساء النبي ﷺ وكانت أحب نسائه إليه كما كان أبوها أحب صحابته، وفيه يقول الرسول ﷺ: «**لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر**»، لأن الخليل هو الصديق الذي تخللت محبته القلب فصارت خلاله أي في باطنه وكانت خلته ﷺ مقصورة على حب الله تعالى فليس في قلبه لغيرها متسع.

وقد كانت محبته لعائشة بعد بنائه بها، أما عند خطبتها فقد كانت صغيرة (سبع سنوات أو تسع)**، ولا يعقل أن يحبها النبي ﷺ في هذه

* أرجح الآراء تؤكد أن السيدة عائشة رضي الله عنها حينما تزوج بها الرسول عليه الصلاة والسلام كانت بين الثامنة عشرة والثمانية والعشرين عامًا من عمرها، وهو الرأي الراجح، والذي تؤكده منطق الأحداث بل وأحاديث للسيدة عائشة نفسها، فعائشة التي تزوجها الرسول بعد الهجرة إلى المدينة، أي بعد البعثة بثلاث عشرة سنة، كانت مخطوبة قبل زواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم من مطعم بن عدي "الكافر"، وهو ما يؤكد أن تلك الخطبة كانت قبل البعثة، إذ ليس من المتصور أن يقبل أبو بكر مصاهرة كافر وهو من أوائل المؤمنين، حتى لو لم يكن قد حرم هذا=

السن، أو ينظر إليها نظرة ميل ومحبة وهو لم ينظر إلى غيرها ممن اكتملت أنوثتهن من فتيات قريش، وفيهن من كان يراها من أقاربه كابنة عمته زينب بنت جحش قبل أن يخطبها هو لزيد مولاه.

٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب

هي الزوجة الرابعة، حفصة بنت عمر الذي أعز الله به الإسلام بعد دعوة الرسول ﷺ: «**اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين**»، يريد عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام "أبو جهل"، وقد دخل الإسلام بمثل الحمية التي كان يحاربه بها من قبل، فصلى في الكعبة والمسلمون معه أمام قريش، وقد كانوا قبله يستخفون منهم.

فلما مات «خنيس»*، زوج ابنته حفصة، وكان من السابقين إلى الإسلام، عرضها أبوها على أبي بكر فأبى، فلما ماتت رقية بنت النبي ﷺ، وكانت زوجًا لعثمان، عرض عمر عليه أن يتزوج حفصة ابنته فأبى، فذهب عمر إلى الرسول ﷺ يشكو إليه أبا بكر وعثمان

=بعد، من جهة أخرى فعائشة نفسها رضي الله عنها تقول «لم أعقل أبوي قط إلاَّ وهما يدينان الدين»، أي أنها كانت في عمر يعقل ويعي، أي لا تقل عن الخامسة أو السادسة، بالإضافة إلا الثلاثة عشر عامًا بعد البعثة .. ورغم ذلك وغيره من أسانيد إلا أن الرأي الأشهر، ظل هو الزواج بعائشة وهي طفلة، وذلك بعد أن "تبنى" هذا الرأي "الوهابيون" ورددوه، لأنه يتيح ويشرع لهم إشباع رغباتهم وشهوات نفوسهم بزواج الصغيرات.. الناشر.

* خنيس بن حذافة السهمي، كان من أصحاب الهجرتين، إلى الحبشة ثم إلى المدينة، شهد غزوتي بدر وأحد، وأصيب في الأخيرة واستشهد إثر هذه الإصابة.. الناشر.

ويقول: «يا رسول الله، عرضت ابنتي على أبي بكر فأبى، ثم عرضتها على عثمان فأبى»، فقال الرسول ﷺ: «اصبر، فلعل الله يرزق عثمان خيرًا من ابنتك ويرزق ابنتك خيرًا من عثمان»، فزوَّج النبي عثمان ابنته أم كلثوم وتزوج هو حفصة.

تزوجها لا رغبة فيها ولا حبًّا لها، وإنما تزوجها ليوثق أواصر الصداقة بينه وبين عمر كما وثقها بأبي بكر من قبل، ولعثمان وعلي اللذين ارتبطا به برباط المصاهرة وتزوجا بأم كلثوم وفاطمة، فالرسول تزوج بحفصة لأجل عمر، يؤيد ذلك شهادة عمر نفسه حين علم أن حفصة تراجع النبي ﷺ حتى تغضبه، فقد دخل عليها وقال لها: «يا بنية، إنك لتراجعين رسول الله حتى يظل يومه غضبان»، فقالت حفصة: «إنا لنراجعه»، فقال لها: «أحذرك غضب الله وغضب رسوله، والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك، ولولا أنا لطلقك».

فأنت كما ترى من قصة زواجه بحفصة إنما كان تطييبًا لخاطر سيدنا عمر وتوثيقًا لعرى المحبة والصداقة.

٥) زينب بنت خزيمة

وأما الخامسة فهي زينب بنت خزيمة، ومؤهلاتها كسودة، كانت زوجًا لعبيدة بن الحارث بن المطلب، واستشهد ببدر، ولم تكن ذات جمال أو مال، وإنما عرفت بطيبتها وصلاحها وتقواها وكثرة إحسانها؛ حتى لقد لقبت بـــ«أم المساكين»، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق به، وكانت قد

تخطت الشباب، فلم تمضِ سنتان حتى توفيت ولحقت بالسيدة خديجة رضي الله عنها، فكان زواجه بها ﷺ رحمة بها وعطفًا عليها لا طمعًا في مالها أو رغبة في جمالها، ولكن لمكانة زوجها في الإسلام وتقديرًا لإخلاصه وجهاده ومكافأة لها على ما كانت تقوم به من جلائل الأعمال.

٦) أم سلمة بنت أمية بن المغيرة

كانت زوجًا لأبي سلمة بن عبد الأسد الذي جرح في أحد، والذى عقد له الرسول ﷺ لواء سرية لحرب بني أسد فظفر بهم ورجع غانمًا، ولكنه لم يعش طويلاً، إذ نفر به الجرح وظل به حتى قضى عليه، ورسول الله ﷺ بجواره يدعو له، فلما مات أسبل عينيه، وقد بكته أم سلمة بكاء طويلاً، فإذا قيل لها "يعوضك الله خيرًا" تقول: "ومن مثل أبي سلمة"، فلما انقضت عدتها طلب النبي، صلى الله عليه وسم، يدها تطييبًا لخاطرها ومعاونة لها في تربية عيالها، وشفقة بشيخوختها، فاعتذرت بكثرة العيال وكبر السن، فقال لها النبي ﷺ: «أما العيال فعليَّ، وإما كبر السن فأنا أكبر منك سنًّا»، ومازال بها حتى تزوجها وأخذ نفسه بتنشئة أولادها وتربيتهم.

هذه أم سلمة المسنة أم العيال يتزوجها النبي ﷺ، لا لجمال ولا لشباب ولا لمال، ولو أراد الزواج من ذوات الجمال والشباب والبكارة والنضارة والثروة لوجد من بنات المهاجرين والأنصار من تتطاول أعناقهن ليكن زوجات له، لكنه آثر غرضًا أسمى وهدفًا أعلى، هو الذي دعاه من قبل

ليتزوج سودة وزينب بنت خزيمة، دعاه أن يكون أبًا لكل يتيم وضعيف، أبًا لكل من مات أبوه شهيدًا في سبيل الله، وزوجًا لكل مسلمة فقدت زوجها المجاهد لنصرة دين الله، وهذا هو الذي جعل المسلمين يحبونه ويتعلقون به ويضحون بأنفسهم وأموالهم في مؤازرته ونصره.

كما محا آثار التبني الذي كان يجعل للابن المتبني حقوق الابن الشرعي في الميراث وفي حرمة النسب وفي الاختلاط بأسرة من تبناه وهو أجنبي عنها.

وبهذا التشريع أيضًا نقضت تقاليد العرب التي ورثتها أجيالاً طويلة، وحل مكانها التشريع الإسلامي ..

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

مزاعم المبشرين والمستشرقين

لقد أطلق المبشرون والمستشرقون ألسنتهم في محمد وزواجه وتقولوا عليه، وصوروه بصورة الرجل الشديد الولع بالمرأة ومفاتنها، وقد نقل الدكتور هيكل في كتابه «حياة محمد»، مزاعمهم، وافتنُّوا في الكذب عليه ﴿ . . قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ .

ومما يدعو إلى أشد الأسف أن هؤلاء اعتمدوا في قولهم على ما ورد في بعض كتب السيرة وبعض الكتاب المسلمين الذين أرادوا أن يصوروا محمدًا عظيمًا في كل شيء حتى في شهوات الدنيا، فقدموا لأعدائه عن حسن نية هذه الحجة التي بنوا عليها قصورًا من الإفك ليُظهروا محمدًا

أنه لم يقنع بما عنده من نساء خمس فعمل على زواج زينب وهي تحت يد مولاه، ثم لم يكتفِ بها وبمن قبلها فتزوج ثلاثًا بعدها!

ويكفي للرد على هؤلاء المفترين أن نقول لهم إن محمد ﷺ لم يكثر من أزواجه إلا بعد أن تخطى الخمسين وبعد الهجرة، وما تزوج واحدة بعد خديجة رضي الله عنها التي مكث معها وحدها فترة شبابه وكهولته وقوته، إلا لتوقيق عرا الصداقة بينه وبين صاحبيه أبي بكر وعمر، وإلا ليرفع من مكانة زوج مات عنها زوجها بعد جهاد في سبيل الله، أو ليعول ذرية مجاهد مات في حرب وترك ذرية ضعافًا لا عائل لهم.

ومحمد بعد هذا كله تفكيره كله في نشر الدعوة والقضاء على خصومها.

ويقول الدكتور هيكل في الرد: كان في مقدورنا أن نجابه هؤلاء بقولنا «فلتكن أقوالهم صحيحة»، فهل يطعن ذلك في محمد ونبوته ورسالته؟ إن القوانين الطبيعية التي تجري على الناس لا سلطان لها على العظماء ولا سلطان لها من باب أولى على الأنبياء والمرسلين، وضرب المثل بموسى حين وكز من لم يكن من شيعته فقتله، وهو قتل في غير حرب مخالف للقانون، ومع ذلك لم يطعن هذا في نبوته ورسالته، كما ضرب المثل بعيسى في ولادته من غير أب، وفي كلامه في المهد وهو مخالف لقانون الطبيعة وسنتها (ص ٢٨٥ – حياة محمد).

ثم قال: كان في مقدورنا أن نقول هذا، ولكننا نجني على التاريخ وعلى عظمة محمد وجلال رسالته.

ثم استطرد مبيناً أن محمدًا نصح الزوجة الواحدة في الحياة العادية، ودعا إلى ذلك بمثله الذي ضربه في حياته مع السيدة خديجة رضي الله عنها.

ونقول إن محمدًا أبى على علي بن أبي طالب أن يتزوج على ابنته فاطمة حين جاء إليه بنو هشام بن المغيرة يستأذنونه في زواج علي ابنة عمرو بن هشام؛ فانطلق إلى المسجد مغضبًا وخطب فقال: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم اللهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم؛ فإن ابنتي بُضيعة مني يريبني (يسوؤني) ما يربيها ويزعجني مايزعجها، ويؤذيني ما يؤذيها».

فامتنع علي، ولو أنه اكتفى بفاطمة كما اكتفى النبي بخديجة لأعفى النبي ﷺ من القلق والانزعاج والانطلاق إلى المسجد مغضبًا .. أليس هذا دليلاً على أن محمد يؤثر الواحدة على التعدد في الحياة العادية؟

٧) السيدة زينب بنت جحش الأسدية

هي زينب بنت أميمة بنت عبد المطلب، خطبها الرسول ﷺ على زيد مولاه ومتبناه؛ فأبت وأبى أخوها وقال: كيف تكون قرشية هاشمية بنت

عم رسول الله ﷺ تحت عبد رق اشترته خديجة ووهبته محمدًا فأعتقه؟ إن في ذلك لعارًا.

وكانت العرب تأبى أن تزوج المرأة العربية ممن جرى عليه الرق، وكانت بطون قريش تتفاوت في الشرف، وكان بنوها ثم لا يزوجون بناتهم إلا الهاشمي.

لكن محمدًا أصر على تزويجها زيدًا، ونزل القرآن الكريم يأمر بطاعة الرسول ﷺ فيما يأمر، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] عندئذ قال عبد الله وأخته: رضينا يا رسول الله.

وتزوجت زينب زيدًا، وخرجت على تقاليد العرب، مضحية في ذلك بما يقول الناس عنها مما تخشى سماعه، طاعة لله ولرسوله، وأصبح زيد الذي تبناه الرسول بحكم تقاليد العرب ابنًا له، ودفع عنه مهره، وارتفع المعتق إلى مكان الحر الشريف، وتقوضت تقاليد الجاهلية وعاداتها المبنية على المعصية.

فلما سارت زينب إلى زيد لم يسلس له قيادها، وجعلت تفخر بنسبها **وتؤذيه بقولها إنها لم يجر عليها رق، واشتكى زيد إلى الرسول ﷺ غير** مرة من سوء معاملتها إياه واستأذنه غير مرة أن يطلقها؛ فكان يقول

له: «**أَمسِك عَلَيكَ زَوجَك، وَاتَّقِ الله**»، لكن زيدًا لم يطق معاشرة زينب، وإباءها عليه طويلاً فطلقها.

وقد ذكر الزمخشري من قدماء المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، أن النبي ﷺ، أبصرها بعد ما نكحها زيدًا فوقعت في نفسه، فإنه سبحانه مقلب القلوب، وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن، وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة فيها، فقال للرسول ﷺ إني أريد مفارقة صاحبتي، فقال: «هل رابك منها شيء؟»، قال: لا والله، ما رأيت منها إلا خيرًا، ولكنها تتعاظم عليَّ لشرفها وتؤذيني، فقال له الرسول ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله».

وهذا كلام في غاية القبح والسفه، يجب صيانة النبي ﷺ عن مثله، والظاهر ــ كما قال الألوسي من متأخري المفسرين ــ أن الله سبحانه وتعالى لما أراد نسخ تحريم زوجة المتبنَّى أوحى إليه ﷺ أن يتزوج زينب إذا طلقها زيد، فلم يبادر إلى ذلك مخافة طعن الأعداء؛ فعوتب على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وهذا كلام وجيه.

فالنبي ﷺ ما زوجها زيدًا ولا تزوجها هو بعده إلا بأمر الله، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فالله وهو الذي زوج نبيه زينب، وقد كانت تفتخر على نساء النبي وتقول: لقد زوجت من فوق سبع سموات، زوجني ربي.

وبهذا التشريع الذي أنزله الله هدى ورحمة للعالمين قضى الإسلام على عادة التبني في الجاهلية، ونزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

وإذا قيل إن محمدًا أباح لنفسه ما حرم على غيره؛ إذ حدد ما يحل أن يكون تحت المسلم من الزوجات بأربع فقط وأباح لنفسه تسعًا؟

فنقول: إن الآية التي حددت عدد الزوجات باربع وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

هذه الآية نزلت في السنة الثامنة من الهجرة بعد أن بنى النبي ﷺ بأزواجه، وكان للمسلم قبل نزولها أن يتزوج عددًا من النساء لا حد له، فلم يبح محمد لنفسه ما حرمه على غيره.

وإذا قيل إنه بعد نزول الآية أمر المسلمين أن يسرحوا ما زاد على أربع، ولم يسرح واحدة من زوجاته التسع نقول: إن المرأة إذا كانت تحت مسلم فطلقها وسرحها فلا مانع شرعًا ولا عرفًا أن تتزوج غيره إذا انقضت عدتها، أما زوجات النبي ﷺ فهن قد شرفن وارتفعت مكانتهن بزواجه، وإذا كانت زوجة الرجل الكبير في قومه تأبى أن تكون بعده تحت رجل أقل منه منزلة فما بالك بزوجات سيد الأنبياء والخلق أجمعين، فهل يسرحهن الرسول ﷺ ويقطع صلته بهن ثم لا يتزوجن غيره ليكون هدفًا للنقد؟ اللهم لا؛ فإن محمدًا قد بلغت معاملته لأزواجه من السمو المثل الأعلى في الاحترام، وقد سما بهن إلى سماء الحرية، فمن غير المعقول أن يقسو عليهن ويسرحهن وهو المؤمنين رءوف رحيم، وهن أمهات المؤمنين، وقد نزل القرآن بالنهي عن زواجهن تكريمًا للنبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]*.

* ورغم ذلك فلم يكن هذا الاستثناء الذي جعله الله للرسول مطلقًا، فمقابله فقد قيّده بما لم يقيّد به بقية عباده المؤمنين، فإنه سبحانه منع نبيه أن يتزوج بغيرهن حتى وإن متن أو طلقهن جميعًا،

أما قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]

«العدل» المقصود في الآية هو التسوية بين الزوجات في النفقة والكسوة والمسكن والبيت، لا العدل القلبي، وهو أن يكون هواه متساويًا معهن جميعًا على السواء لأنه غير مستطاع ولا تكليف إلا بمستطاع ولذلك قال رسول الله ﷺ، وقد كان حبه لعائشة أكثر: «**اللهم إن هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك**»، وهذا هو المقصود من قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩].

فإباحة التعدد إلى أربع مقيد بالعدل المستطاع، فإن خاف الجور اقتصر على واحدة، والحكمة في إباحة التعدد أن ظروف الحياة قد تستدعيه، كان يستشهد الرجال في حرب أو تكون المرأة عقيمًا لا تلد، أو بها سقم يحول دون قيامها بحقوق الزوجية، فإباحة التعدد أمر استثنائي لضرورة، فإذا لم تكن ضرورة فالاقتصار على الواحدة فيه الخير لسعادة الرجل أولاً

قال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وهو القيد الذي لم يضعه لغيره من المؤمنين إذ يستطيع الرجل الزواج من أي عدد شريطة ألا يجتمع على ذمته أكثر من أربع نسوة، وطبًا بشرط استيفاء الشروط الأخرى وأولها وأهمها العدل.. الناشر.

ولسعادة زوجته وأولاده حيث يتمكن الأبوان من تنشئة الأولاد تنشئة كريمة تجمعهم المحبة والمودة والإخاء والتعاون.

أما أولاد الضرائر فإن أمهاتهم يلقنهم الكراهية والبغضاء لإخوتهم فيعيشون متناحرين متباغضين، وفي ذلك من الضرر على الأسرة والأمة ما لا يختلف فيه اثنان، على أن ظروف الحياة الآن لا تسمح بأكثر من واحدة لضيق المساكن وغلاء المعيشة، ولذا لم تتعرض لجنة إعداد قانون الأسرة لمنع التعدد؛ لأن الذين يتزوجون بأكثر من واحدة لا يزيد عددهم على اثنين في الألف، وهي نسبة ضئيلة جدًّا، وإن كانت قد تعرضت للطلاق لأنه كثير، والناس يحلفون به في كل صغيرة وكبيرة في بيعهم وشرائهم، وفي فض مشاكلهم وفي...

مع أن الطلاق لم يشرع إلا لحل رباط الزوجية إذا ساءت العشرة، واستحال الوئام بين الزوجين، ولذا جعلت الطلاق لا يقع إلا بعد فشل الحكمين .. **فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** [النساء: ٣٥].

٨) جويرية بنت الحارث

هي بنت زعيم بني المصطلق وسيد قومه، أسرت في غزو النبي قومها ووقعت في سهم أحد الأنصار؛ فأرادت أن تفدي نفسها منه فأغلى الفداء أن أباها يقدر على دفع ما يطلب منه، وخشيت جويرية شططه فذهبت إلى النبي ﷺ، وكان في حجرة عائشة، فذكرت له ما أصابها من البلاء ومن شطط الأنصاري في طلب الفداء لأنه يعلم أنها ابنة زعيم بني المصطلق، وطلبت منه أن يعينها على كتابها (حريتها)، فقال لها رسول الله ﷺ: «هل لك في خير من ذلك؟» قالت: وما هو؟ قال: «أقضي عنك كتابتك وأتزوجك»، فرضيت، فلما بلغ المسلمون الخبر أطلقوا ما بأيديهم من أسرى بني المصطلق، إكرامًا لصهر رسول الله ﷺ إياهم، حتى كانت عائشة تقول عن جويرية: «ما رأيت امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها».

فزواج النبي ﷺ بها كان خيرًا وبركة على قومها، كما كان أكثر خيرًا على المسلمين؛ إذ أسلم بنو المصطلق جميعًا بعد فك أسرهم، وكأن الله سبحانه وتعالى ألهمه الزواج بها ليسلم قومها وينضموا إلى صفوف المسلمين، يؤازرونهم وينصرونهم على أعدائهم.

٩) صفية بنت حيى بن أخطب

كان أبوها كبير يهود بني النضير، فلما أجلاهم الرسول ﷺ عن قريتهم جنوب المدينة بميلين، لما نقضوا عهدهم، وتآمروا على قتله وهو بين ظهرانيهم في قريتهم؛ خرجوا إلى خيبر.

ولما ألَّب حيى العرب على النبي ﷺ في غزوة الأحزاب دخل حصون بني قريظة ليحملهم على نقض عهدهم، وبقي معهم بعد أن هزم الله الأحزاب حتى حاصرهم النبي ﷺ وقتلهم ومعهم حيى.

ولما غزا الرسول خيبر كانت صفية بنت حيى بن أخطب من الأسرى، فقيل للرسول ﷺ: إن صفية سيدة بني النضير لا تصلح إلا لك، فأعتقها وتزوجها أسوة بالفاتحين العظماء الذين كانوا يتزوجون بنات عظماء الممالك التي كانوا يفتحونها فيخففون من مصابهم ويحفظون من كرامتهم، فأعتقها النبي ﷺ، وبنى في طريق عودته من خيبر، وأسلمت وحسن إسلامها، ونزع الله من قلبها الحفيظة على محمد الذي قتل أباها وزوجها وأهلها، وقد دامت على الوفاء حتى قبضه الله.

أليس زواج سيدنا محمد ﷺ بها كان تخفيفًا لمصابها وداعيًا إلى حسن إسلامها؟ أليس ذلك تكريمًا لامرأة عاشت حياتها رغيدة العيش معززة في بيت أبيها سيد قومه، ثم في بيت زوجها، وكانت أموال بني النضير تحت يده؟

إن النبي ﷺ لو تركها تقع في سهم أحد المجاهدين لكان إذلالها، ومن الأقوال المأثورة: «أكرموا عزيز قوم ذل»، وهو ﷺ أكرم الكرماء.

١٠) أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

كانت زوجها لعبد الله بن محسن الذي هاجر إلى الحبشة مسلمًا ثم تنصر وبقي على نصرانيته حتى مات وبقيت على إسلامها في الحبشة حتى عادت مع المسلمين الذين كانوا بها بعد أن كتب الرسول ﷺ إلى النجاشي يطلب إليه رد المسلمين الذين عنده إلى المدينة، وقد جهَّز لهم النجاشي سفينتين حملتاهم وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ومعه أم حبيبة التي أصبحت زوجًا للرسول ﷺ ومن أمهات المؤمنين.

وكان زواج الرسول ﷺ بها حتمًا مقضيًا، جزاء لها على ما تحملت في هجرتها وعلى تمسكها بدينها رغم تنصر زوجها، وحماية لها من والدها الذي لا يزال على دين قومه، فلو رجعت إلى مكة وأبوها من أكابر قريش ورءوسها لردها عن دينها، ثم في زواجه بها إغاظة لوالدها وايلامًا لنفسه، وهل يغص المرء بشيء يكتم أنفاسه كغصته بابنته التي تخرج عنه دينه وتخالف أمره.

ولقد غصَّته بكلامها حين قدم إلى المدينة ليحضر عهد الحديبية الذي كان بين محمد ﷺ وبين قريش، فلما دخل عليها وأراد أن يجلس على

فراش الرسول ﷺ طوته عنه وقالت بعد حوار بينه وبينها: إنك نجس، فلا تجلس على فراش الرسول الطاهر*.

فإذا كان الرسول ﷺ قد تزوج سودة وزينب وأم سلمة، ليرفع مكانتهن ويعولهن بعد وفاة أزواجهن الذين ماتوا في سبيل الله، فأم حبيبة أحق أن يرفع شأنها وأن تصبح من أمهات المؤمنين جزاء وفاقًا على ما لاقت من مشاق الهجرة، ومن تنصر زوجها وبقائها في الحبشة مؤمنة صابرة .. **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجرَهُم بِغَيرِ حِسَاب.**

١١) ميمونة بنت الحارث الهلالية

هي آخر أزواج النبي ﷺ وأخت أم الفضل زوج عمه العباس، وأخت سلمى أرملة عمه حمزة، وخالة خالد بن الوليد.

رأت المسلمين في عمرة القضاء وقد انحدروا من شمال مكة يحيطون بالرسول ﷺ كالهالة حول القمر، ينادون بصوت واحد يشق عنان السماء: «لبيك اللهم لبيك»، فاهتز قلبها مجذوبًا إلى الإسلام، وهفت إليه نفسها؛ فخاطب العباس ابن أخيه محمدًا في أمرها، وعرض عليه أن يتزوجها، فقبل وحمل معها أختها أرملة عمه العباس، وحقق رغبته مع أنه كان لا يزال على دين قومه، لأن محمدًا ﷺ لم ينسَ خروجه معه في

* "نجس" هنا وصف وليس سبابًا، فقد أمر الله تعالى وبلغ نبيه صلى الله عليه وسلم بأن نصاحب الوالدين في الدنيا معروفًا وإن كفرا، أن نطيعهما فيما لا معصية فيه.. الناشر.

جوف الليل ليلة العقبة ليستوثق له ممن جاءوا يبايعونه من أهل يثرب، وقوله لهم: «إن لم تكونوا مانعيه مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم فدعوه، فهو في عزة من قومه ومنعه في بلده في بلده».

ولم ينسَ له إرساله الرجل الغفاري ينبئه أن قريشًا تتهيأ للخروج للثأر منه لقتلى بدر، وأنه لبى نداء الرسول ﷺ حين دعاه ليتحمَّل عن أبي طالب أحد أبنائه لكثرة عياله وقلة ماله، فأخذ جعفرًا وأحذ النبي ﷺ عليًا.

ثم هي أخت سلمى أرملة عمه حمزة وأخيه من الرضاع، وسيف الله الذي انتقم من أبي جهل على رءوس الأشهاد في المسجد فشج رأسه، لما علم أنه سب ابن أخيه محمدًا ونال منه، والذي كانت له اليد الطولى في بدر يقطع بها رقاب المشركين، والذي حزن عليه الرسول ﷺ أشد الحزن حين قتل غدرًا في غزوة أحد ومُثل به، وقال حين شاهده: «لن أصاب بمثلك أبدًا، ما وقفت موقفًا أغيظ إليَّ من هذا».

فإذا تزوج من ميمونة وحمل معها أختيها ليعولهما فإنما يقابل إحسان عميه بالإحسان ..

﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾. [الرحمن: ٦٠]

هذا هو محمد وأزواجه وأسباب زواجه بكل واحدة منهن، وكل سبب ينطق بمفخرة ومرحمة، والله يصفه فيقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

تساؤلات عن شعيرة الحجر الأسود

كثرت التساؤلات والاعتراضات، وأثيرت المناقشات حول تقبيل الحجر الأسود منذ وفاة الرسول ﷺ إلى اليوم، فأبو العلاء المعري وصفها بأنها "بقية أوثان وأنصاب"، وغيره نعتها بأنها أحد تقاليد قريش الأثرية المتفق عليها من الجميع اتفاقًا منحها من القوة والمتانة قدرًا لم يجرؤ معه النبي ﷺ على محوها.

وزعم فريق ثالث أن النبي ﷺ قد احتفظ بهذا الحجر وأمر بتعظيمة، تخليدًا لذكرى إبراهيم، عليه الصلاة والسلام.

وادعى فريق رابع أنه تصوير لهبوط آدم من الجنة.

ورأي خامس أنه أحد أحجار الفردوس، وهو الأمر ما في هذا المكان، وكان يوم هويه لؤلؤة بيضاء، وقد أمر الناس منذ آدم أو منذ إبراهيم أن يمسوه لتنتقل إليه خطاياهم وآثامهم، وهذه الآثام هي التي صيرته على مر الزمن أسود .. ولما كان واسطة في تطهيرنا من آثامنا واحتمالها عنا فقد أمر النبي ﷺ بتقبيله إشارة إلى عرفان الجميل.

وهذه الآراء جميعها لا ترضى الشك ولا تصل بنا إلى اليقين؛ لأنه لا يوجد دليل قاطع يؤيد هذا أو ذاك.

ولعلها محاولات أو أمور اجتهادية لتبرير تقبيله أو إنكارًا على المسلمين في تقديسه ورميهم بأنهم عبدة أوثان كما في رأى أبي العلاء المعري.

وإزاء هذا حاول الخصم الألد أن يصيد في الماء العكر، فوجه تساؤله عن تقبيل النبي ﷺ وأتباعه الحجر الأسود، مع إنكاره ﷺ عبادة الأصنام والأحجار، وفي هذا تناقض لقوله.

وجوابنا على هذا الاعتراض، أن الإسلام دعا إلى تحرير العقول واحترام الكرامة الإنسانية، لذلك كانت العبادة لله الفرد الصمد .. واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا»، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين.

بيد أن بعض الأمر تعبُّدي لم يقف النبي ﷺ على حكمتها، وبالتالي خفيت على أمته، وهذا له نظير في الشرائع الأخرى، وليس في الشريعة الإسلامية فحسب، ومثل هذا أمره موقوف إلى الله تعالى.

فتقبيل الحجر الأسود من هذا القبيل، وإلى هذا يشير قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبلك ما قبلتك»، وإشارة إلى أن تقبيله أمر تعبُّدي، مع الاعتراف بأنه لا أثر له في ضر أو نفع، وإنما المؤثر في الحقيقة أنما هو الله وحده، وهذا لا يتنافى مع عقيدة التوحيد، حيث التسليم لعدم تأثيره في الأشياء إيجادًا وعدمًا، نفعًا أو ضرًّا.

على أن ما فعله الرسول: ﷺ إنما هو بوحي من الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣].

وأيضًا فإن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام والأنبياء من بعده كانوا يكرمون تابوت العهد ويبخرونه.

وكذلك النصارى تقبل الصور والأحجار وتتبرك بها وتسجد لها من دون الله، مع ما في ذلك من مخالفة للشريعة التوراتية القائلة بأن السجود والتعظيم والتقديس لا يكون إلا لله مع أنها لا تملك لنفسها ضرًّا أو نفعًا.

فكيف يجوِّزون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم، وشتان بين أمرين أحدهما حق والآخر باطل؛ لأن الأول صادر عن وحي والآخر صادر عن هوى نفس.

شبهة تأثير السحر في الرسول ﷺ

لقد عصم الله نبيه محمدًا ﷺ من كل مرض ينفر الناس منه ويبعدهم عنه أو يجعله يفقد عقله أو ذاكراته أو يخلط في قوله وفعله، فلا يعي ما يقول ولا يدري ما يصنع، وذلك تأمينًا لدعوته وحفظًا لرسالة ربه لكي تؤدى كاملة غير منقوصة كما أُمِر بتبليغها دون أن يشوبها تغيير أو تبديل أو تحريف.

وهذا وقد اتخذ المستشرقون قصة لبيد بن الأعصم الذي سحر لرسول الله ﷺ ليضر به بدنه ويفسد عليه عقله مجالاً للطعن والتشنيع بالرسول المعصوم بأن من كان في مثل حاله من المرض الحاصل له من تأثير السحر لا يصلح لأن يبلِّغ عن رسالة السماء ولا يوثق بقوله ولا يستجاب لندائه ولا يُعمل بشريعته... إلخ.

وها أنذا سأعرض هذه القصة دون إنكار لها كما ردها بعض المسلمين وموضحًا لها بما يكشف الحق ويدحض الباطل ويمحق شبهة الضالين.

قال صاحب «المواهب اللدنية»: وقد ثبت في البخاري من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ سُحر حتى إن كان ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا ودعا، ثم قال: يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفته، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما: ما بال الرجل؟

قال الآخر: مطبوب.

قال: من طبه؟

قال: لبيد بن الأعصم.

قال: في أي شيء؟

قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر.

قال: وأين هو؟ قال:

في بئر ذروان.

فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقال: يا عائشة، كان ماؤها نقاعة الحناء، وكأن رءوس نخلها رءوس الشياطين.

فقلت: يا رسول الله، افلا استخرجته؟

قال: قد عافى الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًّا، فأمر بها فدفنت.

وفي رواية للبخاري أيضًا:

... فأتى البئر حتى استخرجه، قال هذه البئر التي رأيتها.

قالت عائشة: أفلا تنشرت؟

قال: أما الله شفاني وأكره أن أثير على الناس شرًّا.

وفي فتح الباري:

... فنزل رجل، فاستخرجه، وأنه وجد في الطلعة تمثالاً من شمع، تمثال رسول الله ﷺ، وإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة

عقدة؛ فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين، فكلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع إبره وجد لها ألمًا ثم يجد بعدها راحة.

وهناك روايات كثيرة لا داعي لذكرها، وأكتفي بما ذكرته، وقد بيَّن الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما أخرجه عند ابن سعد بسند له إلى عمر بن عبد الحكم مرسلاً، قال:

لما رجع ﷺ من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع، جاء رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم، وكان حليفًا إلى بني زريق، وكان ساحرًا، فقالوا: أنت أسحرنا، وقد سحرنا فلم تصنع شيئًا، ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره لنا سحرًا ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير.

• قال السهيلي: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث ﷺ فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري أنه لبث سنة .. قال الحافظ ابن حجر: وقد وجدناه موصولاً بالإسناد الصحيح، فهو المعتمد.

• وقال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع؛ إذ يحتمل على هذا أنه يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو، ثم وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوحَ إليه شيء.

قال المازري: وهذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها؛ فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالخطأ والنسيان والشدائد والأمراض، ولكن غير المنفرة كالجذام والبرص والجنون والعته وما شاكل ذلك؛ فإنه معصوم منها.

فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين ا.هـ.

وقال غيره: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حجة.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ومن سابق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود، ويكون قوله في الرواية الأخرى "حتى كان ينكر بصره"، أي كالذي ينكر بصره بحيث إنه إذا رأى الشيء يخيل إليه أنه على غير صفته، فإذا تامله عرض حقيقته.

ويؤيد جميع ماتقدم أنه لم يُنقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به، وقد قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

فلم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على سائر خلقه مرتضيًا شريعته لأمته.

قال بعض العلماء: وقد سلك النبي ﷺ في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب، ففي أول الأمر فوض وسلم الأمر ربه، واحتسب الأجر في صبره على بلائه، ثم لما تمادى في ذلك وخشي من تماديه أن يضعفه عن فنون عبادته جنح إلى التداوي.

فقد أخرج أبو عبيد من مرسلي عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: احتجم النبي ﷺ على رأسه الشريف .. يعني حين طب ثم جنح إلى الدعاء، وكل من المقامين غاية في الكمال ا.هـ.

الإسراء والمعراج

مناقشة النصارى في إسراء الرسول ﷺ وعروجه إلى السماء

إنكار قصة الإسراء والمعراج

قال بعض مجادلي أهل الكتاب إن مما ذكره المسلمون من إسراء الرسول ﷺ وخروجه إلى السماء في ليلة واحدة ذهابًا وإيابًا، هذا أمر مستحيل لا يقبله العقل، فلا نصدقه ولا نقول به.

وقبل أن أرد عليهم أقول لهم:

إن ما حدث معجزة للرسول ﷺ، والمعجزة أمر خارق للعادة يعجز البشر عن الإتيان بمثله، يجريها المولى على يد رسله تأييدًا لدعوتهم، وقدرة الله تعالى صالحة للتصرف في ملكه حسب مشيئته وإرادته، كن فيكون.

وأقول لهم: لماذا تنكرون الإسراء والمعراج وتستحيلون حدوثه، بينما تؤمنون بنظيره ولا ترون في ذلك استحالة ولا غرابة؟

ألستم مؤمنين بأن بولس خُطف إلى السماء الثانية، وكذلك يوحنا الإنجيلي، وإنه رأى في السماء أشياء يستبعدها العقل؟ وأيضًا ألم يقولوا برفع المسيح إلى السماء؟ وجبريل يجتاز هذا العالم في طرفة عين.

فيكف يجوِّزون لأنفسهم ما لا يجوزونه في حق النبي محمد ﷺ؟

بيد أن المعراج الشريف أخبر عنه دانيال عليه السلام على ما هو عليه ذاتًا وصفة كما في الإصحاح السابع؟

ونقول لهم أيضًا: أتؤمنون بقدره تعالى أم لا؟

فإن كان جوابكم «نعم»، فقد أثبتم القدرة لله تعالى ولزمتكم الحجة وثبت إسراؤه ومعراجه، ﷺ، وإن كان جوابكم «لا»، فقد نفيتم القدرة وأثبتم العجز لله تعالى، والعجز محال على الخالق القادر.

وأيضًا لِمَ تذهبون بعيدًا والإنسان المخلوق الضعيف الذي هو عبد من عبيد الله وأثر من آثار قدرته قد أتى بما يبهر النفوس ويذهل العقول ويجعل ذوي الألباب في حيرة من أمره؟ فقد اخترق أجواز الفضاء وقطع المسافات الشاسعة البعيدة المدى حتى وصل في مسيره إلى القمر في زمن يُعد قصيرًا ويسيرًا لو قيس بعظم بعده، هذا بجانب ما زود به من مواد غذائية وكيماوية وأجهزة تحفظ عليه حياته وتقيه الأخطار وتجعله قادرًا على اجتياز طبقات الجو ومناطق انعدام الهواء، كل هذا كان يُعد فيما مضى قبل عصر الأقمار وسفن الفضاء والصواريخ مستحيلاً لتصور تفكير الإنسان في ذلك الوقت وعدم وصوله إلى تلك المرحلة من النضج العلمي والابتكار والاختراع.

ولو وجهت سؤالاً إلى إنسان، أيًّا كانت جنسيته وثقافته وديانته، وقلت له: هل يستطيع الإنسان أن يصل إلى الكواكب ويطوف حولها ويدور حول الأرض في أيام؟ لرأى هذا هذيانًا وتخريفًا، أما الآن فالناس يترقبون أن يأتي الإنسان بالعجب العجاب.

فإذا كان الإنسان قد توصل بعقله ودراسته إلى هذا المستوى الرفيع من العلم وإلى هذه الدرجة من التفكير التي كشف بها بعض أسرار الكون.

هذا مع العلم بأن هذه المسافات بعدها وقربها، والزمن ليله ونهاره شهوره وأيامه، إنما هي بالنسبة للخلق فحسب، أما بالنسبة لله تعالى فهي عنده سواء، لا يمر عليه زمان ولا يعجزه مكان، حاشا لله تعالى .. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢ ــ ٨٣].

عجبًا لكم ثم عجبًا لكم؛ تثبتون للمخلوق ما لا تثبتونه للخالق .. ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

دعوى قتل الرسول الآلاف من المشركين

قال أعداء الإسلام إن محمد ﷺ كان قاسيًا لقتله الألوف من أعدائه.

الجواب:

نقول لهم إن فريتكم هذه مردودة عليكم، فالنبي ﷺ قد ضرب به المثل الأعلى في العفو والتسامح حتى مع أعدائه الذين ناصبوه العداء وتصدوا لدعوته، فقد أحسن إليهم ورفق بهم وعفا عنهم في كثير من المواقف التي تكون له الغلبة فيها.

ففي فتح مكة لما تم النصر للمسلمين ودارت الدائرة على المشركين، فأوجسوا في أنفسهم خيفة من معاقبة الرسول ﷺ لهم وتنكيله بهم، ولكن الرسول ﷺ قال لهم: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ولهذه السماحة دخل الناس في دين الله أفواجًا.

على أننا لو استعرضنا تاريخ الدعوة الإسلامية منذ بدايتها لوجدنا أن الرسول ﷺ واتباعه تعرضوا بكثير من إيذاء المشركين وتآمرهم عليه ونعلي أصحابه حتى ضاق بهم المسلمون ذرعًا وذهبوا إلى رسول الله ﷺ يستأذنونه في قتال المشركين دفاعا عن أنفسهم ودينهم ولكن الرسول ﷺ كان يأمر بالثبات والصبر حتى إذن الله لهم بالجهاد قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

فالقتال إذن لم يشرع إلا لحماية الدعوة ورفع الظلم عن الذين اضطهدهم المشركون، وسلبوهم أموالهم وأخرجوهم من ديارهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

ومن أدلة عفوه وصفحه ما حدث في غزوة بدر، فقد كان رأى عصر قتل الأسرى ورأى أبي بكر الفداء، ومال الرسول ﷺ لرأي أبي بكر، وقد عوتب الرسول ﷺ على هذا لتركه الأولى من أخذ أعدائه بالقهر والشدة حتى يرتدعوا جزاء قهرهم وظلمهم للمسلمين.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وقد سبق توضيح ذلك فارجع إليه.

وأيضًا فالرسول ﷺ احترم جميع المعاهدات التي عقدها مع اليهود، ولكن اليهود كانوا في كل مرة ينقضون ما عاهدوا الله ورسوله عليه، وكُتب التاريخ ملأى بمؤمرات اليهود وغدرهم وخيانتهم، ولم يثبت أن الرسول ﷺ خان أو غدر أو وقع منه ظلم لأحد كائنًا من كان.

هذا وأكبر معركة خاضها الرسول وانتصر فيها على أعدائه لم يقتل فيها سوى سبعين كما حدث في غزوة بدر.

فأين الألوف الذين قتلهم الرسول؟ ومتى؟

كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا..

بيد أني سأستشهد على سماحة الرسول ﷺ ورحمته بأعدائه بما قاله أحد زملائهم وابن جلدتهم على سياسة محمد الرشيدة في القتال، وأظن أنها كافية في رد فريتهم.

يقول الأستاذ ديرمانجيم:

إن محمدًا قد أبدى في أغلب حياته اعتدالاً لافتًا للنظر، فقد برهن في انتصاره النهائي على عظمة نفسية قل أن يوجد لها مثال في التاريخ، إذ أمر جنوده أن يعفوا عن الضعفاء والمسنين والأطفال والنساء، وحظر عليهم أن يهدموا البيوت أو أن يسلبوا الثمار أو أن يقطعوا الأشجار الثمرية، وأمرهم ألا يجردوا السيوف إلا في حالة الضرورة القاهرة، بل قد رأيناه يؤنب بعض قواده ويصلح أخطاءهم إصلاحًا ماديًا ويقول لهم: إن نفسًا واحدة خير من أكثر الفتوح شراء.

والغنائم الحربية كانت في ذلك العهد النتيجة العادية لكل جهاد، بل يمكن أن يقال إنها كانت مع التجارة وتربية الحيوان هي الصناعة الوطنية العربية، فأعلن محمدًا بإباحتها لأتباعه استجابة لضعفهم، ولكنه حددها بقواعد دقيقة تخصص الجزء الأكبر منها للصدقات.

فهذا هو قول الحق في خلق محمد ﷺ وحسن صنيعه وجميع معروفه مع أشد الناس حربًا عليه وعلى أتباعه .. وشهد شاهد من أهلها.

دعوى اتهام الرسول ﷺ بالظلم

وهذه الدعوى الكاذبة غريبة من نوعها خاصة في حق النبي محمد ﷺ المنزل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، فكيف يكون آمرًا بالعدل ويرتكب خلافه، وهو المشهود له من قومه عدو وصديقه بطيب الخصال وكريم الفعال والعادات.

فدعواهم أن رسول الله ﷺ أخذ أرضًا غصبًا من يتيمتين وأقام عليها مسجدًا، وهذا ظلم لا يليق به إن كان نبيا، فنقول:

إن النبي ﷺ استأذن صاحب الأرض، ولما سمحت نفسه بها عوضه الرسول ﷺ عنها وأعطاه زائدًا من ثمنها ترضية له، فأي ظلم في هذا؟!

وما حصل من الرسول ﷺ فهو أمر عادي، جرى عليه عرف البلاد والأمصار، فالحاكم أو الأمير له أن ينتزع الملكية للمصلحة العامة كتوسيع الشوارع أو إقامة مشاريع عمرانية أو إنتاجية كبناء المدارس والمستشفيات والمساجد والمصانع وغير ذلك مما فيه منفعة للمجموع، والرسول ﷺ لم يفعل أكثر من هذا.

وقولهم أيضًا إن الرسول ﷺ أخذ أموال بني قينقاع وقسمها بين أصحابه، وهذا ظلم أيضًا.

فجوابنا على هذه الفرية أن هؤلاء اليهود ما ظلمهم رسول الله ﷺ ولم يعتدِ على حرماتهم، بل عاملهم أحسن معاملة واحترم معاهداتهم والمواثيق التي عقدها معهم، ولكن اليهود هم الذين أساءوا إليه ونقضوا ما عاهدوه عليه حيث أرادوا قتله والتخلص منه، وما أكثر المؤمرات التي دبروها ضده، ولكن الله نجاه من شرِّهم ومكرهم، ونصره عليهم ليعز به الإسلام والمسلمين.

فهل إذا قاتلهم الرسول ﷺ دفاعًا عن نفسه ورسالته التي أرسله الله بها لهداية الناس عُدَّ باغيا عليهم؟

وهل إذا سلبهم أموالهم وديارهم التي تعد غنيمه له ولأصحابه يكون ظلمًا؟

ألم يأخذوا هم أموال المسلمين واستحلوا قتلهم وطردوهم من ديارهم، وإلى هذا تشير الآية الكريمة ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ...﴾ [آل عمران: ١٩٥].

فكيف تحل لهم غنائم المسلمين بينما تحرم غنائمهم على المسلمين؟!

إن ما فعله معهم الرسول ﷺ هو قانون الحرب الذي يبيح للمنتصر أن يمتلك أموال المنهزم، بل وأرضه، وهذا أمر مسلَّم به وجرى به العرف الدولي*.

* كان هذا هو العرف الدولي في ذلك الزمان وحتى عصور قريبة حينما أنشئت عصبة الأمم المتحدة في القرن العشرين لتنظم العلاقة بين المهزوم والمنتصر وبين صاحب الأرض والفاتح أو الغازي.. الناشر.

دعوى ترك الرسول النصح المأمور به

لست أدري لماذا شغل هؤلاء المستشرقون وأهل الكتاب أنفسهم في اختلاق النقائص وسبك الأكاذيب ليصموا بها سيد الأنبياء والمرسلين لا لشيء، إنه الحقد الدقين والعداء العامي والضلال المبين.

هل تصدق أن الرسول ﷺ الذي كان حبه لأصحابه يملا قلبه ويغمر نفسه، كما كان حب أصحابه له تمتلئ به قلوبهم وتمتزج به أرواحهم؛ أن يخون أحد أصحابه ويتركه يأكل من ذراع الشاة التي أخبرته بأنها مسمومة حتى مات بينما امتنع هو عن الأكل منها؟

ألم يكن سكوت النبي ﷺ من نصح ذلك الصحابي كما يزعمون جريمة فضلاً عن كونه تقصيرًا في حقه لأنه لم يقم بالمأمور به؟

وإيضاحًا للحقيقة نذكر تلك القصة؛ ليميز الخبيث من الطيب والحق من الباطل.

في غزوة خيبر أهدت زينب بنت الحارث اليهودية، امرأة سلام بن مشكم، للنبي ﷺ شاة مشوية قد سمَّتها وسألت: أي اللحم أحب إليه؟

فقالوا الذراع؛ فأكثرت من السم في الذراع، فلما انتهش من الذراع الذي أُهدى إليه أخبره الذراع بأنه مسموم فلفظ الأكلة ثم قال: اجمعوا من ههنا من اليهود؛ فجمعوا له، فقال لهم: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي فيه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، قال: كذبتم، أبوكم فلان. قالوا: صدقت وبررت،

قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال رسول الله ﷺ: من أهل النار؟

فقالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفون فيها.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسئوا فيها، فوالله لا نخلفكم فيها أبدًا»، ثم قال: هل انتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟

قالوا: نعم.

قال: أجعلتم في هذه الشاة سمًّا؟

قالوا: نعم.

قال: فما حملكم على ذلك؟

قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريح منك، وإن كنت نبيًا لم يضرك.

وجيء بالمرأة إلى النبي ﷺ، فقالت: أردت قتلك. فقال: ما كان الله ليسلطك عليّ.

فقالوا: ألا نقلتها؟

قال: لا. ولم يتعرض لها ولم يعاقبها، واحتجم على الكاهل، وأمر من أكل منها فاحتجم، فمات بعضهم ونجا البعض.

وروى حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة متصلاً أنه قتلها لما مات بشر بن البراء، توفيقًا بين الروايتين.

ويكون قتلها قصاصًا منها لقتلها بشرًا بن البراء.

يفهم من هذه القصة أن النبي ﷺ لم يخبَر بأن الذراع مسمومة إلا بعد أكله منها، ولعل من مات من أصحاب كان قد تعجل الأكل قبل الرسول ﷺ، وبناء عليه فالرسول ﷺ لم يقصر في حق أصحابه ولم يتعمد قتلهم، حاشاه من ذلك، وهو المقول في حقه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ فهذه شهادة من الله تعالى له بالرأفة والرحمة وهما صفتان ملازمتان له إلى يوم الدين.

والرحمة ضد القسوة، ومن كانت هذه صفته فلا يصدر عنه إلا كل فعل حميد وقول جميل وسلوك يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

أيهما أشد .. السلب والقتل أم الجرح؟

وهكذا تراهم في كل شبهة يثيرونها أو اعتراض يتساءلون عنه يرجعون بالخيبة والهزيمة، وحسبوا في هذه المرة أن النصر سيكون حليفهم، ولكن الهزيمة كانت أشد من سابقتها، إنها تمس أعز شيء يدينون به، وهي عقيدة الصلب... إلخ.

وبدلاً من أن أجيب على تساؤلهم سأعرض ردي عليهم في صورة مقارنة بين ما يدينون به وبين ما يطعنون به نبي الإسلام، ولندع أولي الألباب أن يكونوا الحكم الفصل فيما بيننا وبينهم.

أيهما أشد، القتل والصلب أم الجرح؟

أيهما أكبر، درجة الإلوهية أم النبوة؟

فإذا كان قتل المسيح وصلبه، كما يعتقد النصارى، لا يقدح في إلوهيته أو كونه ابنًا له، فلماذا يعدُّون إصابة النبي محمد ﷺ في إحدى المعارك الحربية قدحًا في نبوته؟ أفما كان الأجدر أن يحمي الإله نفسه أو يحمي الإله ابنه إن قلتم بالنبوة؟

على أن الله تعالى قد حفظ نبيه ﷺ من أعدائه ونجاه من جميع مؤامراتهم منذ فجر الدعوة الإسلامية إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله تعالى مخبرًا عن حفظه من مكر أعدائه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ولا قائل بأن إصابة النبي أو جرحه يتنافى مع النبوة؛ لأن الدعاة دائمًا يتعرضون لقوى الشر وجند إبليس .. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الإنعام: ١١٢].

فالرسل جميعهم عصمهم الله من القتل ليبلغوا شريعة السماء إلى آخر لحظة من حياتهم، وإنما يجوز عليهم أن يتعرضوا لإيذاء الكافرين، هذا

ولم يثبت في تاريخ الأنبياء أن رسولاً قتل[1]، ولكن الثابت أن الأنبياء هم الذين كانوا يتعرضون للقتل، كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم، قال تعالى في حق بني إسرائيل قتلة الأنبياء: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢].

[1]- الفرق بين الرسول والنبي أن الرسول هو الذي أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، والنبي هو الذي أوحى الله إليه بشرع ولم يأمره بتبلغيه، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي ولا العكس.

دعوى علم الغيب من شروط النبوة

قبل أن نجيب على هذه الدعوى نقول لهم: أين دليلكم عليها؟ أو هل ثبت أن أحدًا من الرسل كان يعلم الغيب؟ ومن؟...

إن علم الغيب من الأمور التي استأثر الله تعالى بعلمها ولم يعلمها أحدًا من خلقه، وإنما يوحي الله بعضًا منها إلى رسله وأنبيائه بحسب ما تقتضيه مصلحة البشر وتأييد الرسالة قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

دعوى محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كعيسى في إخباره عن المستقبل

هذه دعوى، وكل دعوى تحتاج إلى دليل، فأين دليلكم بأن محمدًا لم يحدِّث بشيء عن المستقبل كما حدَّث عيسى عليه الصلاة والسلام؟

بل على العكس، تقولون في أن ما أخبر به النبي محمد ﷺ من الكائنات المستقبلَة في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لا يمكن استقصاؤها لكثرتها، ولكن سأشير إلى طرف منها وبالله المستعان، وذلك منتزع من القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية الصحيحة.

أما القرآن فقال تعالى في سورة المزمل، وهي من أوائل ما نزل بمكة: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

ومعلوم أن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة بعد الهجرة.

وقال تعالى في سورة القمر، وهي مكية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٤ ــ ٤٥].

ووقع هذا يوم بدر، وقد تلاها رسول الله ﷺ وهو خارج من العريش، ورماهم بقبضة من الحصاة؛ فكان النصر والظفر، وهذا مصداق ذلك.

وقال تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد: ١ ــ ٥].

فأخبر أن عمه عبد العزى بن عبد المطلب الملقب بـــ«أبي لهب» سيدخل النار هو وامرأته؛ فقدر الله عز وجل أنهما ماتا على شركهما لم يسلما حتى ولا ظاهرًا، وهذا من دلائل النبوة الباهرة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣ ــ ٢٤].

فأخبر أن جميع الخليقة لو اجتمعوا وتعاضدوا وتناصروا وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته وحلاوته وإحكام أحكامه وبيان حلاله وحرامه وغير ذلك من وجوه الإعجاز لما استطاعوا ذلك، ولما قدروا عليه ولا على عشر سور منه، بل ولا سورة، وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك أبدًا، و«لن» لنفي التأييد في المستقبل.

ومثل هذا التحدي، وهذا القطع، وهذا الإخبار الجازم، لا يصدر إلا عن واثق بما يخبر به عالم بما يقوله، قاطع أن أحدًا لا يمكنه أن يعارضه ولا يأتي بمثل ما جاء به عن ربه عز وجل.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

فكان هذا الوعد في سنة الحديبية عام ست، ووقع إنجازه في سنة سبع، عام عمرة القضاء.

وأما الأحاديث الدالة على إخباره بما وقع، ومن ذلك حديث خباب من الأرت حين جاء وأمثاله من المستضعفين، يستنصرون النبي ﷺ وهو متوسد رداء في ظل الكعبة فيدعو لهم لما هم فيه من العذاب والإهانة، فجلس محمرًا وجهه وقال: «**إن من كان قبلكم كان أحدهم يشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون**».

ومن ذلك الحديث الذي رواه البخاري.

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا حماد بن أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة، عن أبيه عن جده أبي بردة عن أبي موسى: أراه عن النبي ﷺ، قال: «**رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض فيها نخل، فذهب وهلي**[1] **إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفا فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ثم هززته بأخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ورأيت فيها بقرا والله خير فإذا هم المؤمنون يوم أحد وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي آتانا الله بعد يوم بدر**».

[1]- وهلي: ظني.

ومن ذلك أبي بن خلف الذي كان يعلف حصاناً له، فإذا مر برسول الله ﷺ يقول: إني سأقتلك عليه، فيقول له رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»، فتقتله يوم أحد.

ومن ذلك إخباره عن مصارع القتلى يوم بدر في أنه جعل يشير قبل الوقعة إلى محلها ويقول: هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان، قال: فو الذي بعثه بالحق ما حاد أحد منهم عن مكانه الذي أشار إليه رسول الله ﷺ.

ومن ذلك إخباره عن فتح مدائن كسرى وقصور الشام وغيرها من البلاد يوم حفر الخندق، لما ضرب بيده الكريمة تلك الصخرة فبرقت من ضربة ثم أخرى ثم أخرى.

ومن أخباره، قال أبو داود: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا ابن إدريس، أنبانا عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر يوصي الحافر "أوسع من قبل رجليه، أوسع من قبل رأسه"، فلما رجع استقبله داعي امرأة، فجاء وجيء بالطعام، فوضع يده فيه ووضع القوم أيديهم فأكلوا، فنظر آباؤنا رسول الله ﷺ يلوك لقمة في فيه، ثم قال: «أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها».

قال: فأرسلت المرأة: يا رسول الله، إني أرسلت إلى البقيع يشتري لي شاة فلم أجد، فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة أن أرسل بها إليَّ بثمنها، فلم يوجد، فأرسلت إلى امرأته فأرسلت إليَّ بها.

فقال رسول الله ﷺ: «أطعميه الأسارى».

وفي هذا القدر كفاية.

إنكار النعيم الجسماني في الجنة

إنكار أهل الكتاب للنعيم الجسماني في الجنة

لقد عاب المستشرقون على نبي الإسلام ما وعد به أتباعه من النعيم الجسماني في الجنة، حيث الحور العين والخمر واللبن والعسل والفاكهة وغير ذلك مما أخبر به محمد ﷺ لا يتناسب مع الحياة الأخروية؛ لأن الحياة الأخروية روحانية لا جسمانية.

ونقول لهم إن النعيم الجسماني جائز عقلاً ولا استحالة فيه، وهو حاصل مع النعيم الروحاني؛ إذ السعادة لا تكمل إلا بهما.

ودليلنا على هذا أن البشر في الجنة تكون حالهم من الأكل والشرب والتمتع بالحور العين كحالهم في الدنيا؛ لأنها الطبيعية التي خُلقوا عليها، غاية ما في الأمر أنه لا ينشأ عن طعامهم وشرابهم شيء من المستقذرات كما يحصل في الدنيا؛ لأنها دار طهر وكرامة، بل يخرج منهم رشحًا كالعرق ولكنه طيب كالمسك.

فالجنة تشتمل اللذات الروحانية والجسمانية، والأولى أفضل من الثانية، ويحصل كلا النوعين للمؤمنين .. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، معناه أن رضوانًا من الله أكبر منزلة عن كل ما سلف ذكره من ثمار الجنة والأنهار والمساكن الطيبة... إلخ.

وهذا القول يدل على أن أفضل ما يعطي الله في الجنة هي اللذات الروحانية، وإن كان يعطي اللذات الجسمانية أيضًا، ولذلك قال: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾؛ وذلك لأن الإنسان مخلوق من جوهرين: لطيف علوي، وكثيف سفلي، أي جسماني، فإذا حصلت الخيرات الجسمانية وانضم إليها حصول السعادات الروحانية كان الروح فائزًا بالسعادات اللائقة به والجسد واصلاً إلى السعادات اللائقة به، ولا شك أن ذلك هو الفوز العظيم.

واستدلوا على النعيم الروحاني أن أهل الجنة من البشر سيكونون كالملائكة، لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون، لكنكم قلتم إن الملائكة الذين ظهروا لسيدنا إبراهيم أنهم أكلوا من العجل السمين الذي قربه إليهم، كما أكلوا سمنًا ولبنًا في ضيافته، كما صرح بذلك في الباب الثامن عشر من سفر التكوين.

وأن الملكين اللذين جاءا إلى لوط عليه السلام، وصنع لهم وليمة مكونة من خبز وفطير، أكلا منها، كما صرح به في الباب التاسع عشر من سفر التكوين.

ومن العجيب أنهم اعترفوا بالحشر الجسماني، فَلِمَ استبعاد اللذات الجسمانية؟

نعم لو كانوا منكرين للحشر مطلقًا كمشركي العرب، أو كانوا منكرين للحشر الجسماني ومعترفين بالحشر الروحاني كأتباع أرسطو لكان لاستبعادهم وجه، بحسب الظاهر.

فأي المتعتين أتم وأكمل، النعيم الجسماني فقط أم الروحاني فقط أم هما معًا؟

والتمتع بالحور العين قد أخبر به العلي القدير في محكم التنزيل.. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى في وصفها: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الرحمن: ٢٢ ــ ٢٣]، على أن معاشرة المؤمنين الحور العين ستكون معاشرة أنس ولذة تخالف المعاشرة الدنيوية مما يتبع الجماع من الإنزال والرائحة الكريهة، نظيره ما ينتج عن الأكل رشحًا طيبًا، فكذلك الاتصال بالحور العين.

وخمر الجنة ليست كخمر الدنيا؛ إذ الأولى طيبة لذيذة فيها متعة للنفس، والثانية منتنة خبيثة تغتال العقول والنفوس.

فكل ما أخبرنا به الصادق الأمين سيد المرسلين ﷺ من نعيم الجنة قول صدق لا مرية فيه، بل ما ذُكر في القرآن الكريم إنما هو تشبيه تقريبي لأهل الدنيا بنعيم الآخرة، وإلا فهناك أشياء

أعظم وأجل كما قال الرسول ﷺ: «**فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**».

أقول:

ولا يضيرنا شيء أن تصدقوا أو تكذبوا؛ فسيأتي يوم الفصل، وهو قريب، وستحشرون حشرًا جسمانيًا إلى النار لتذوقوا عذابها متفحصة أرواحكم وأجسامكم؛ حتى تعلموا يومئذ أن الحشر جسماني والعذاب جسماني.

خاتمة الكتاب

حمدًا لمن أنعم علينا بنعمة الإسلام، وجعلني من حملة رسالته ودعاة دينه وحماة تراثه.

والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد.

فقد تم هذا الكتاب بعونه تعالى وتوفيقه، ونجز ما قصدنا بحول الله وقوته، فإن وافق الصواب فالمنة لله العلي الكبير، وإلا فالعبد محل الخطأ والتقصير، ولا سيما من هو في مثل حالي.

واعتذر لذوي الألباب عن التقصير الواقع في هذا البحث، وأن ينظروا إليه بعين الرضا والصواب، فما كان من نقص كملوه، وما كان من خطأ أصلحوه، فقلما يخلص مصنف من الهفوات أو ينجو مؤلف من الثغرات.

وكما قال ابن مالك: أعاذنا الله من حاسد لسد باب الإنصاف، ويصد عن جهل الأوصاف، وألهمنا شكرا يقتضي توالي الآلاء.

وكما قال في حرز الأماني:

فيا عاطر الأنفاس أحسن تأولا

والله أسأل أن ينفع به كل من قرأه، وأن يهدي المارقين عن الدين إلى صراطه المستقيم.

ووافق الفراغ من تبييضه يوم الجمعة في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة وألف هجرية، الموافق السادس والعشرين من شهر يونيو سنة سبعين وتسعمائة وألف ميلادية*.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أحمد سيد أحمد بنوفرى
من علماء الأزهر الشريف

* يعني بهذا التاريخ الفترة التي كتب فيها الجزأين (عصمة الأنبياء، عصمة محمد).. الناشر.

الفهرس

نداء إلى أهل الكتاب ٣

مقـــدمـــــــة..... ١١

الفصل الأول..... ١٣

عداء المستشرقيـــن للإســـلام ١٣

كلمة موجزة..... ١٥

عن الاستشراق والمستشرقين ١٥

الفصل الثاني ١٩

الوحـــــــي ١٩

وحي الرسول إلهي لا نفسي ٢٥

كما يقول الماديون والمستشرقون..... ٢٥

شبهات المستشرقين للوحي النفسي..... ٢٦

شبهة الوحي النفسي ٢٦

دعوى الأخذ من ورقة بن نوفل..... ٢٧

عصمة النبى قبل النبوة..... ٣٧

صفات الرسول في الكتب السماوية ٤١
شخصية محمد ٤٥
كما يصورها فلاسفة الغرب ٤٥
مناظرة ابن القيم..... ٥٠
الشبهات الواردة في حق النبي محمد ﷺ ٥٤
الشبهة الأولى: ٥٤
الشبهة الثانية: ٥٥
الشبهة الثالثة: ٥٥
الشبهة الرابعة:..... ٥٧
الشبهة الخامسة: ٥٨
الشبهة السادسة: ٥٨
الوجه الأول: ٥٩
الوجه الثاني:..... ٥٩
الشبهة السابعة: ٦٠
الشبهة الثامنة: ٦١
الشبهة التاسعة: ٦٢

الشبهة العاشرة:..... ٦٣
الشبهه الحادية عشر: ٦٥
الشبهة الثانية عشرة: ٦٨
الشبهة الثالثة عشرة: ٦٩
الشبهة الرابعة عشرة:..... ٧٠
الشبهة الخامسة عشرة: ٧٢
الشبهة السادسة عشرة: ٧٣
الشبهة السابعة عشرة: ٧٦
مطاعن المستشرقين في الرسول..... ٧٨
والرسالة الإسلام دعوة عالمية..... ٧٨
دعوى خصوص الرسالة المحمدية بالعرب ٧٨
دعوى أخذ الرسول من أحبار اليهود..... ٨٢
ورهبان النصارى..... ٨٢
قصة الغرانيق ٨٤
القصة:..... ٨٤
حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ ٩٢

وما أثير حولها من شبهات ٩٢
١) زواجه بالسيدة خديجة ٩٣
٢) خطبة عائشة ودخوله بسودة..... ٩٥
٣) السيدة عائشة بنت أبي بكر ٩٦
٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب ٩٧
٥) زينب بنت خزيمة ٩٨
٦) أم سلمة بنت أمية بن المغيرة..... ٩٩
مزاعم المبشرين والمستشرقين ١٠٠
٧) السيدة زينب بنت جحش الأسدية..... ١٠٢
٨) جويرية بنت الحارث ١٠٩
٩) صفية بنت حيى بن أخطب ١١٠
١٠) أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ١١١
١١) ميمونة بنت الحارث الهلالية ١١٢
تساؤلات عن شعيرة الحجر الأسود ١١٤
شبهة تأثير السحر في الرسول..... ١١٧
إنكار قصة الإسراء والمعراج ١٢٢

دعوى قتل الرسول الآلاف من المشركين ١٢٥
دعوى اتهام الرسول..... ١٢٨
دعوى ترك الرسول النصح المأمور به..... ١٣٠
أيهما أشد .. السلب والقتل أم الجرح؟ ١٣٢
دعوى علم الغيب من شروط النبوة ١٣٥
دعوى محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كعيسى في إخباره عن المستقبل
..... ١٣٥
إنكار النعيم الجسماني في الجنة ١٤١
إنكار أهل الكتاب للنعيم الجسماني في الجنة..... ١٤١
خاتمة الكتاب ١٤٥
الفهرس ١٤٧